مذاهب وشخصيات

السناتور جو مكارثي

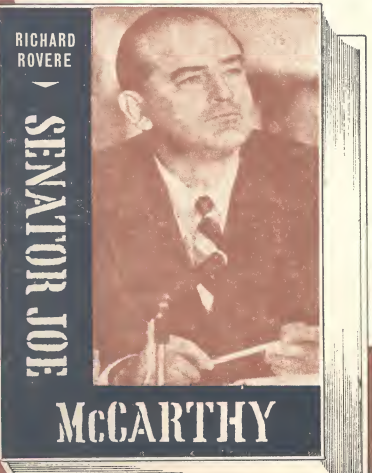

روفيري

خليل

عمر

Bibliotheca Alexandrina
0241095

مذاهب وشخصيات

السناتور مكارثي

بقلم: ريتشرد ه. روفيري
ترجمة: محمود وصفي محمد خليل
مراجعة: محمود فتحي عمر

الفصل الأول

حياته الأولى

كان السناتور الامريكي الراحل جوزيف ر. مكارثي من أعظم زعماء الجماهير الموهوبين الذين أنجبتهم شواطيء ولاية ويسكنسن .

ولقد كان بحق أشجع سياسي ظهر في تلك البلاد كما كان جريئا مهيبا تمكن في أسرع وقت من السيطرة التامة على النواحي المظلمة في العقول الامريكية .

ان أعظم حقبة في تاريخ مكارثي لم تستمر لفترة طويلة ، فلقدبدأت في عام ١٩٥٠ ، أي بعد أن أصبح « سناتورا » بثلاثة أعوام ، وسرعان ما انتهت في عام ١٩٥٤ بعد أن أصدر مجلس الشيوخ الامريكي قرارا بتوجيه اللوم اليه وكان ذلك قبل وفاته وهو في سن الثامنة والأربعين بثلاث سنوات .

لقد حدث بزوغ نجم مكارثي وأفوله في سرعة مذهلة تكاد أنفاس المرء تتوقف دون اللحاق بها .

وفي بداية ١٩٥٠ كان مكارثي يعيش مغمورا في ولاية ويسكنسن ، وما لبث أن اكتشف ـ بدون أي قصد ـ الشيوعية ، مثله في ذلك مثل كريستوفر كولمبس حين اكتشف أمريكا ، وجيمس مارشال الذى اكتشف الذهب في كاليفورنيا .

وما ان حل ربيع ذلك العام نفسه (١٩٥٠) حتى كان مكارثي شخصا مرموقا متألقا أقرب الى الضمير الامريكي من أي شخص آخر .

لقد ملأ بحق المقعد الكلاسيكي لقرصان الديمقراطية التي وضعها أريستوفان منذ ٢٤٠٠ عام ، لقد كان دور القرصان يحتاج الى السخرية بكل شيء كما يحتاج الى الامانة، والاستقامة في وقت واحد ، وهكذاأصبح مكارثي كل شيء بعد أن كان لا شيء ، يأمر وينهى ، يجمع ويفرق ، يبطل ما يراه من القوانين ويصدر ما يعن له حتى دانت له البلاد بأسرها .

وهنا قام بالثورة ضده والوقوف في وجهه زملاؤه من أعضاء مجلس الشيوخ والجنرالات وازداد عدد معارضيه في جميع أنحاء البلاد ، فكان لابد له أن يتراجع ازاء هذه المعارضة الشديدة .

وهكذا عانى مكارثي خلال سنى سيطرته القليلة الكثير من الصعاب والشدائد، ولكنها لم تكن فاصلة، كما أنها لمتؤد به الىالهاوية والسقوط.

وكان محط الانظار فسلطت عليه السينما والتليفزيون، واستمر فى مزاولة نشاطه الى أن صدر قرار مجلس الشيوخ بالتنديد به وادانته بسبب قيامه بأعمال من شأنها الحط من هيبة المجلس والاساءة الى سمعته . كما انها كانت تهدف الى تصدع المجلس وتداعيه .

وقد تعرض بعض أعضاء مجلس الشيوخ ممن هم أقل نفوذا وسطوة من مكارثى الى لوم وتقريع المجلس غير أنهم أحرزوا انتصارات باهرة ومن هؤلاء الشيخ روبرت م . لافوليت من ويسكنسن الذى استطاع مكارثى أن ينافسه ويهزمه فى تلك الدائرة عام ١٩٤٦ .

ولم يأت هذا القرار الا بعد أن انتهك مكارثى حرمة القانون الامريكى واعتدى على الكثير من نصوص الدستور الامريكى دون أن يعبأ بذلك ملقيا بها وراء ظهره ضاربا بها عرض الحائط . وبعد أن تدخل فى الكثير من السلطات والتنظيمات . بل وكثيرا ما اغتصب لنفسه حقوق السلطة التنفيذية والقضائية كلما كان يحلو له ذلك ، وكثيرا ماكان يحلو له هذا التصرف .

ولقد استطاع مكارثى فى عهده أن يشل حركة اثنين من رؤساء الجمهورية الامريكية على التوالى هما : الرئيس هارى ترومان ، والرئيس دوايت أيزنهاور وتحديد سلطات كل منهما فى المدة من بداية ١٩٥٠ الى نهاية عام ١٩٥٤ .

فلم يكن باستطاعة أى منهما فى هذه الفترة أن يتصرف فى شىء أو أن يصدر أى قرارأو أن يضعأية خطة دون معرفة رأى مكارثى فى هذهالخطط والقرارات .

وكانت نتيجة ذلك أن ظل كل من ترومان وايزنهاور مكتوفىالأيدى أمام الكثير من الامور والشئون التى تدخل فى اختصاصهما بصفتهما الرئيسين الشرعيين للبلاد .

ولم يقتصر تأثير مكارثى على السياسة الداخلية الامريكية فحسب ، بل تعداها الى السياسة الخارجية فى وقت كان لموقف الولايات المتحدة الامريكية السياسى أثره الكبير فى تغيير مجرى الامور فى المحيط السياسى العالمى .

ولو لم يظهر مكارثى فى التاريخ لكان للدبلوماسية الامريكية فى أيامنا هذه موقف يغاير موقفها الحالى .

وبالرغم من أن مكارثى كان واحدا من أعضاء الكونجرس الامريكى فقد كان يحتقر القواعد التى اتخذها هذا المجلس لنفسه .

وكان كثيرا ما يخالف الاغراض التى سنت من أجلها القوانين ، ما دامت تتعارض مع أغراضه .

وفى بداية عام ١٩٥٠ لم يكن مكارثى بالشخصية المعروفة خارجولاية ويسكونسن . أما داخل هذه الولاية فقد كان معروفا فيها كأحد رجال السياسة الرعاع الذين يستخدمون أرخص الطرق وأحقرها وممن يجيدون وسائل التزلف للجماهير .

كان صوته ضعيفا لا يكاد يصل الى أحد ، وكأنه انما يصرخ فى غابة شاسعة مترامية الأطراف .

ولكنه ما أن حل يوم ٩ فبراير ١٩٥٠ يوم أن القى الخطاب السياسى، فى بلدة « هويلنـــج » بولاية فرجينيا الغربيه ، الذى ذكر فيه ان وزاره الخارجية الامريكية ملاى بالشيوعيين وانه ووزير الخارجيه يعرفان أسماء هؤلاء الشيوعيين ، حتى حدثت ضجه كبرى فشكلت لجان على الفور للتحقيق فى صحة ما ذكره مكارثى فى خطابه من هذه البيانات والادعاءات والتأكد من مدى صحة الارقام التى ذكرها من ان هؤلاء الشيوعيين يبلغون ٢٠٥ أو ٨١ أو ٥٧ أو غير هذا العدد من الشيوعيين — لكن الأمر الخطير كان هو قوله ان وزير الخارجيه يعـــرفهم وأنهم ما زالوا يعملون فى وزارة الخارجية الأمريكية ملأى بالشيوعيين وانه ووزير الخارجية يعرفان أسماء الهدف منها جميعا هو الوصول للحقيقة .

وفى هذه الفترة دارت رحى الحرب الكورية . فى غضــون مارس وابريل ومايو ، بعد أن عبثت خلال تلك الفترة القوى الشـــــيوعية فى الشرق الأقصى ، وعندئذ هب الجميع فى أمريكا متسائلين عن الأيدى التى تصرف شئون السياسة الامريكية الخارجيه ، أهم الخونه الشيوعيـون حقيقة أم غيرهم من السياسيين الامريكيين المخلصين لبلادهم .

كان ذلك بمثابه الفرصة الذهبية لمكارثى ، اذ سلطت عليه الاضواء وتوجهت اليه الانظار وأصبح هدفا للجميع ، وما هى الا أســابيع قلائل حتى كان اسم مكارثى يتردد على كل لسان وتصدرت صورته الصفحات الأولى من الجرائد والمجلات الامريكية الكثيرة . كما كان له النصيب الاكبر على شاشة السينما والتليفزيون .

وهكذا لم يمض على خطاب مكارثى فى هويلنج سوى شهر تقريبـا حتى اعتلى مسرح السياسه الامريكية . ومن ثم أصبحت المكارثية تسود البلاد من أقصاها الى أقصاها ، وأصبح مكارثى القطب السياسى المرموق

واختلفت الآراء حول المكارثية : يراها البعض رجعيـــة تعسفية استبدادية وارهابيه على حين يراها آخرون أنهـا وطنية متطرفة . ويرى أكثر الامريكيين أن المكارثية هى « الامريكيه » .

وفى العام نفسه (١٩٥٠) نشر مكارثى كتابا حوى فيـــه خطبــه العدة وشــهاداته التى أدلى بهـا أمام لجـان التحقيق الخمس التى شكلت لبحث أقواله التى أعلنها فى خطبته فى « هويلنج » وقد أطلق على كتابه هذا « النضال فى سبيل أمريكا » .

ومنذ هذا التاريخ أصبحت المكارثية لدى الكثير من الامريكيين لفظا مترادفا مع القومية الامريكية .

واذا كان لنا أن نصف مكارثى فمن الممكن القول « ان مـكارثى لم يكن مستبدا ، بكل ما فى هذه الكلمة من معنى ، أو رجعيا ، ولسنا مبالغين فى هـذا القول ، ذلك لأن اهتمـامه لم يكن مركزا على النظم الاجتمـاعية والاقتصادية ، واذا ما أردنا أن ننسبه الى مبدأ أو مذهب فقد كان مكارثى

مجرد لاشيء ... قوة مدمرة ... ثائرا بلا نظرية ... متمردا بلاسبب»

نعود للحديث ثانية عن مكارثي فنجد أن صيته قد ذاع وانتشرفي جميع البلاد واصبح حديث الناس تتناقله الالسنة في كل مكان .

ولقد شهد بهذا ادلاي ستيفنسون خلال رحلته التي قام بهـا في غضون عام ١٩٥٣ والتي زار فيها معظم بلاد العالم تقريبا حين قال «لقد أصبح معروفا في جميع البلاد كما تكلمت عنه جميع الالسنة بجميــع اللغات » .

وأصبحت المكارثية في شرق أوروبا وغربها بل في معظم بلدان آسيا وافريقيا وامريكا اللاتينية ، تعني الوقوف في وجه جميع مساوى ومخازي السياسة الخارجية الامريكية بل الحياة الامريكية نفسها .

وكتبت عنه الجرائد وافردت له صفحات بأكملها ، وحدث هذا حتى في الجرائد التي اشتهرت بطابع التحفظ التقليدي مثل جريدة التايمز اللندنيه والتي ذكرت في مقال لها ذات مرة :

« ان المخاوف والشكوك التي تحيط بشخصية مكارثي أصبحت ذات أهمية كعامل أساسي في وضع سياسة الغرب » ثم قالت في نهـاية مقالها « لقـد أصبح مكارثي مصدر قلق لحلفاء الولايات المتحدة » وما لبث أن هاجمه ونستون تشرشل في خطاب ألقاه خلال حفلة تتويج الملكه اليزابيث الثانية .

وقد كان مكارثي بحق أكبر من الحيـاة ، وكانت لاعمـاله التي قام بها خلال حياته القصيرة النتائج الخطيرة الحافلة ، وكان بلا جدال هو السبب الأول في عقد الـكثير من الندوات والمناقشـات ، بل كثيرا ما دارت حوله المناقشات حتى لقد اعتبره الاجانب عدوا لهم .

وفي واشنطن والاراضي الممتدة الى الغرب منها كان مكارثي متعدد المواهب ذا عقلية خلاقة مبدعة ، فكان أول منظم للجماهير استطاع بسهولة فائقة أن يستحوذ على الرأى العام . وكانت له شعبية واسعة النطاق .

ولم يكن السناتور مكارثي هو أول من استخدم الحصانة البرلمانية وسلطات الكونجرس في أغراض شخصية بحتة ، ولكنه كان أشد الجميع وأكثرهم جرأة ودهاء في هذا الميدان .

فلقد تمكن من التدخل في نظم الاحزاب الامريكية بطــريقه تدعو للدهشة والعجب .

بدأ مكارثي نشاطه السياسي بكونه أحد أعضاء الحزب الديمقراطي المؤيد لروزفلت ، ولكنه سرعان ما ترك الحزب الديمقـراطي وانضـم للحزب الجمهوري عام ١٩٣٩ ، ورشح نفسه عضوا لمجلس الشــيوخ باعتباره جمهوريا ، وأخذ في مهاجمة الديموقراطية والديمقراطيين وكلل هذا الهجوم في خطابه الذى ألقاه في هويلنج بتهمة التعامل مع الشيوعيين .

ثم اختتم خطبتـــه الثورية بقـــوله « ان العشرين عاما التي تولى

الديمقراطيون خلالها الحكم لم تكن سوى سلسلة متصلة من الخيانات والغدر ٠

وفاز الجمهوريون في الانتخابات وتولوا الحكم ، وتم انتخاب دوايت ايزنهاور رئيساً للجمهورية ، ولكن مكارثى ما كان ليعيش الا على توجيه التهم والادعاءات ، فظل يتهم الحكومة بالضعف والتخاذل والخنوع فى سياستها الخارجية وتراجعها وخضوعها للشيوعيين ، وما أن انصرم عام على تولى الجمهوريين للحكم ، حتى عدها مكارثى السنة الواحدة والعشرين من سنى الخيانة ، بمعنى أن الحكم الجمهورى لم يكن سوى استمرار للحكم الديمقراطى المبنى على الخيانة والغدر ، كما أنه لم يكن بأفضل منه فى تبعيته وطواعيته للجهاز الشيوعى والشيوعيين ٠

ويجب أن نذكر ان مكارثى قد نجح الى حد بعيد فى شل حركة الرئيس ترومان وحكومته ، ولقد اعترف ترومان بالدور الخطير الذى لعبه مكارثى وهاجمه بعنف ، ولكن كان هذا بعد أن تخلى عن الرياسة وترك البيت الابيض الامريكى ٠

واشتدت حملة مكارثى على الديمقراطيين بعد استدعاء ماك آرثر من الشرق الاقصى ٠

وظل أعضاء حكومة ترومان يحاولون جاهدين استعادة ثقة الشعب بهم بعد الذى أذاعه مكارثى عنهم لفترة غير وجيزة ، ونذكر منهم على سبيل المثال دين اتشيسون وزير الخارجيةالامريكية فىحكومه ترومان٠ فقد ظل اتشيسون خلال عام ١٩٥٠ والسنوات التالية يشرح لكل الطوائف الامريكية انه ليس بالرجل الفاسد كما اتهمه مكارثى ، وانه ظل يكافح الشيوعية طيلة سنى حكمه وأنه لم يتعامل قط مع أى أجنبى خائن للبلاد ٠

ولكى تثبت الحكومة القائمة وطنيتها واخلاصها للبلاد ، استعانت بجون فوستر دالاس وأقالت عددا من الضباط الذين وجه اليهم مكارثى التهم ، وراح الجميع يؤكدون للحلفاء ان مكارثى لا يسيطر على زمام الامور فى واشنطون ٠

وكان لابدلحكومة ترومانأن تقف فى موقف دفاعى يشوبهالحذروالحيطة لانها علمت كما علم الجمهوريون من قبل ان المكارثية مبدأ مزدوج الشخصية ٠ فقد تغلغلت المكارثية فى صفوف الحزب الديمقراطى وأدت الى انتشار البلبلة ٠ والسخط فيه وهى أمور تستفيد منها المكارثية فائدة عظيمة ٠

ووجه السيناتور هنرى كابوت لودج الجمهورى سؤالاً لحاكم ماستشوستس الديمقراطى ، وقال له «ماهو شعور سكان الولاية ازاء المكارثية فى هذه الأيام ؟ » فأجاب الحاكم بقوله « أعتقد أن أعضاء حزبكم لا يفكرون كثيرا فى مكارثى ولكن الديمقراطيين يفعلون »

وأحجم كبار أعضاء مجلس الشيوخ من أمثال بول دوجلاس ـ صاحب أكبر عقلية وشجاعة فى التاريخ الامريكى ـ عن الخوض فى بحث المكارثية ٠ وقد حذا حذوه السيناتور جون كنيدى (الرئيس الحالى للولايات المتحدة الامريكية) الذى كان قد وضع كتابا عن الشجاعة استعرض فيه الشخصيات السياسية المكافحة ٠

وفى عام ١٩٥٢ كان هناك عدد كبير من الناس لا يميلون الى الحزب الجمهورى ، ولكنهم يؤيدونه على أساس انه اذا كان الديمقراطيون هم الذين فازوا فى الانتخابات فانهم سيظلون تحت رحمة مكارثى ٠

لقد وجهت اتهامات مكارثى هذه لعدد كبير من الساسة المعروفين من أمثال دين اتسيشون والجنرال جورج مارشال قائد الجيش ٠ وادت بهما هذه الاتهامات الى التصريح بانهما لا يوافقان على مبدأ الاعتراف بالصين الشعبيه (الشيوعيه) بل انهما لا يقران دخولها الى منظمة الامم المتحدة وأنهما يبغضان مجرد التفكير فى الشيوعية والشيوعيين ٠

وازاء هذا التفكير الناجم عن هذه الاتهامات المتكررة ، اضطر للتصريح بأن الولايات المتحدة الامريكية لن تعترف بالصين الشعبيه ، وكان هذا ينافى ما يعتقدونه ٠

هكذا نرى أن المكارثية تمكنت بسهولة من أن تدفع رجالا أكفاء أذكياء اشتهروا بالعقل والحلم للمخادعة والعناد ٠

وبات الناس فى أمريكا يحلمون بانتهاء مكارثى والمكارثية وتطلعوا الى انتخاب أيزنهاور ، معتقدين ان فى انتخابه نهاية لهذا العهد المكارثى البغيض ، ولكن سرعان ما تحطمت تلك الآمال والأحلام على صخرة الاحداث والحقائق بعد ذلك ، فما أن مضى شهران على انتخاب أيزنهاور وتسلمه لمقاليد الحكم حتى زاد عدد ضحايا المكارثية برغم ما ذكرته جريدة « بوست » الكبرى فى معرض صفحاتها من أن « صوت السناتور مكارثى ليس هو صوت أمريكا ، وان هنالك أصواتا أخرى يجب أن ترتفع لتعلن صوت أمريكا الحقيقى بالخارج والداخل على السواء » ٠

واستجابت الحكومه لتلك النداءات المتكررة بعض الشىء عندما أعلنت موافقتها على الهدنة الكورية عام ١٩٥٣ ، وكان لهذه الموافقة صدى كبير ومغزى بعيد اذ استطاعت الحكومة لاول مرة ألا تبالى بالمكارثية وادعاءاتها ، ولقد أبدى هذا ترومان فى مقال له اذ قال :

« لو كنت قد وقعت هذه المعاهدة لكان فى ذلك انتحارى بدون شك ــ ذلك لأن مكارثى كان ينتهز الفرصة ليطعنني من جديد ويتهمنى فى مدى اخلاصى وولائى لامريكا » ٠

ولكن ما قاساه الرئيس ترومان لا يعد شيئا بجوار ما قاساه الرئيس أيزنهاور فى صمت ، وخاصة خلال السنتين الاوليين من فترة حكمه فقد اعتزم أيزنهاور ذات مرة الذهاب الى ولايه ويسكونسن بلد مكارثى ، والاشادة فيها بالجنرال جورج مارشال قائد الجيش الامريكى الذى اتهمه مكارثى بالخيانه ، ولكن قادة الحزب فى ولاية ويسكونسن خافوا من نتائج تلك الزيارة ٠ وما قد تؤدى اليه من اغضاب مكارثى واثارته ، وهكذا التف كبار رجال الحزب الجمهورى حول ايزنهاور وتمكنوا من اقناعه بحذف الجزء الخاص بالجنرال جورج مارشال من خطبته ، وكان لهم ما أرادوا فى النهاية ٠ ونزل أيزنهاور عند رغبتهم ، ولكن السناتور مكارثى أعلن قائلا : انه سواء مدح أيزنهاور الجنرال

جورج مارشال أو لم يمتدحه ، فان هذا لن يؤثر عليه فى شىء ولكنه كان متحمسا عندما أعلن رأيه لدرجة أن ايزنهاور تراجع أمام هذا التحمس .

وما أن حل عام ١٩٥٣ حتى كان مجرد ذكر اسم مكارثى كفيـــل ببعث القشعريرة فى القلوب بين جميع ســـكان البيت الابيض الامريكى وبين جميع أعضاء الهيئة التنفيذية بالحكومة .

وكان جميع الاعضاء سواء كانوا فى الكونجرس الامريكى أو غيره انما يتجنبون الخوض فى سيرته اتقاء لشره .

فقد حدث ذات مرة ان قابلت احد كبار المسئولين فى البيت الابيض وعلى وجه التحديد أحد مساعدى الرئيس الامريكى وهو انسان بدا لى حينئذ - كما هو حاله اليوم - انه فوق المستوى من ناحية الشجاعة والصراحة ، وما أن تناقشنا فى موضوعات عدة حتى تطرق الحديث بيننا الى الموضوع الذى يشـــغل المكانة الاولى فى أمريكا وهو مكارثى ، وما ان بلغت تلك النقطة وبرغم تقديمى التأكيدات اللازمة بأننى لن أنشر ما سيذكره لى على لسانه حتى لا يحرج مركزه ما ان ذكرت اسم مكارثى حتى تغـــير حاله تماما ، وبالرغم من أنه ظل قابعا فى كرسيه دون حركة فقـد استمر فى الحديث ، اننى لا اذكر بالضبط كلماته التى أوردها حينئذ ولكننى أتذكر أنه قال :

« لا تسألنى بربك ان نتحدث فى هذا ... فى الوقت الحـــاضر على الاقل ... ساعدك بقدر استطاعتى ، وسأتحدث اليك فى أى موضوع تشاء عدا هذا الموضوع . أرجو ألا تلح على فى الحديث عن هذا الموضوع ، بل اننى أرجو ألا تسألنى لماذا لا أود الخوض فى هذا الموضوع . قد يجىء الوقت الذى أحدثك عنه ولكن ليس الآن على أية حال » .

وصدقنى ... اننى لم أر قبل ذلك - بل ولا بعد ذلك - رجـــلا مكتملا يشغل مركزا محترما كان فى مثل هذه الحال .

حتى لقد أحسست بأنه على استعداد لان يعدنى بمنصب السفارة أو بأى منصب كبير فى مقابل عدم ذكر اسم مكارثى امامه .

لقد شعرت فى الوقت نفسه خلال هذا الحديث بأن تفجير القنبلة الهيدروجينية لم يكن ليرعبه ولا ليثير مخاوفه كما يثيرها مجـــرد ذكر اسم هذا السناتور الامريكى أو احتمال قيام مناقشة بينهما .

وهكذا نلمس أن المكارثية سيطرت حينا من الزمن على زمام الأمور فى أمريكا ، وتولت توجيه سياسة البلاد وتحديد الطريق الذى لاتستطيع الحكومة أن تحيد عنه قيد شعرة . وكثر فى هذه الآونة طرد الموظفين والمسئولين وتعيين آخرين بدلا منهم .

ولقد أدى ازدياد نفوذ المكارثية وسطوتها الى جعل الكثيرين يعتقدون أنه سيأتى الوقت الذى لا ينتهك مكارثى قوانين البلاد فحسب ، وانما يصدرها أيضا . ولم يكن قد مضى وقت طويل على انتهاء الحرب العالمية الثانية .

ويستطيع المرء اجراء موازنة بين ما كان يفعله مكارثى وما كان يفعله الهر أدولف هتلر النازى .

والى مكارثى يعزو النقاد والفنيون ضعف القصص والمسرحيات وما نشره الكتاب من كتب ومقالات ، اذ أنها كانت تدور حول موضوعات فارغة خالية من المعاني والافكار — كما تعزواليه فى الوقت نفسه انتشار حوادث الانحلال الخلقى والتدهور الاجتماعى بين الشبان والشابات الامريكان .

فلقد دأب شباب الجامعات فى أيامه على الهجوم على حجرات نوم الطالبات ، وقد ذكرت جريدة الهيرالد تريبيون التى تصدر فى نيويورك فى عددها الصادر فى ١٩٥٢/٥/٢٥ رأيا يذكر فيه صاحبه .

« ان المكارثية أثرت على الشباب والشابات الامريكيين فى الجامعات والمدارس واضطرتهم للانعزال والصمت عن الحياة السياسية عامة الداخلية والخارجية ، فقد كانوا يخشون التحدث فيها لئلا يزج بهم فى غياهب السجون بتهمة الشيوعيه ، حيث ينتشر أعوان مكارثى فى كل مكان ، ولذا لم يجد الشباب الامريكيون أمامهم من وسيلة يصرفون فيها طاقتهم المخزونة الا فى هذه الغارات الدنيئة المتكررة كل يوم على حجرات نوم الطالبات » .

واستمر مكارثى فى طريقه لا يحده قانون ولا يمنعه دستور ولا يقف فى سبيله حائل ، وبهذه الطريقة تمكن من جعل السياسة فى أمريكا مجرد حديث أجوف يدور عن الولاء والامن والاخطار التى تحيط بها وكيف تدرأ .

وفى بداية عهد دوايت أيزنهاور أصبح العمل السياسى المطلوب هو زيادة عدد الموظفين الذين تطردهم الحكومة من وظائفهم بتهمة الخيانة والتعامل مع الشيوعيين ، وأصبح مجرد اتهام مكارثى أو أحد من أعوانه لأى رجل مهما كانت مكانته الاجتماعية أو مركزه الذى يشغله بأنه شيوعى كفيلا بان يحكم عليه بالاعدام من الناحية المادية والمعنوية والاجتماعية .

وسرعان ما تدهورت الامور وساءت الاحوال حتى انعكس هذا على تصرفات الحكومة نفسها فكانت تفخر بأنها قامت بطرد أكثر من ١٤٠٠ موظف زادت الى ٢٢٠٠ فى يوم واحد . كما أعلن ذلك أيزنهاور نفسه كأنما يجد لذة كبيرة فى هذا الشرف الكبير .

وقد أجاب عن ذلك الحزب الديمقراطى الذى أعلن أنه قام بهذا الدور نفسه من قبل ، بل ما يزيد على ذلك خلال السنوات الطويلة التى تقلد فيها زمام الحكم .

وهكذا وقع كل من الحزبين فى الشرك الذى نصبه لهما السناتور مكارثى ، وبدلا من أن يفطنا أو يفطن واحد منهما على الاقل لهذا الشرك المكارثى مضى كل منهما يفاخر الآخر بما فعله من أعمال مجيدة ، معددا الموظفين الذين أبعدهم عن وظائفهم وأعمالهم .

وأخذ كل من الحزبين فى العمل لنيل الرضا المكارثى والحظوة به ٠

وهكذا ظل مكارثى فى مكانه الذى اعتلاه يزداد رسوخا وثباتا على مدى الزمن ، وظل هو مندفعا فى تيار الطيش والارهاب مستمرئا تطرفه وتكالب الاحزاب عليه ، ولا يملك الكل من حوله ان يحركوا ساكنا ٠ ولا يتفوهوا بكلمة ٠ وكأن الامر لا يعينهم ، أو لكأنما الامر قد خرج من أيديهم الى الابد ، لا يملكون سوى مشاهدة ما يجرى على المسرح من بعيد ، دون أن يكون لهم دور فى هذه التمثيلية المحزنة ٠

وكان أسوأ ما فى الامر ان مكارثى والمكارثية جعلت الناس يظنون بل ويعتقدون اعتقادا راسخا بأن أمن الدوله وسلامتها لا يمكن ان يتحقق الا باعلان الحرب على الموظفين الذين يشك فى ولائهم للدوله دون حاجه لبحث أو تنقيب ٠ فما كان أسهل أن يتهم شخص أى رجل كبيرا كان أم صغيرا لخلافات شخصية بينهما بأنه شيوعى ، وما أسهل عليه ان يرسل بهذا المعنى الى مكارثى أو الى أحد من رفاقه قصاصة ورق غفلا من التوقيع حتى يصبح الرجل فيجد نفسه طريد الحكومة معزولا من منصبه دون ذنب ولا جريرة ٠٠٠

وانتشر الرعب بين الناس ازاء ذلك ، وأصبح كل فرد غير آمن على نفسه أو على مستقبله ، وتمثلت صورة أدولف هتلر أمام الاذهان مرة أخرى وصرح بهذا السيد « ارثر » شقيق أيزنهاور عندما قال ذات مرة : « كلما تذكرت مكارثى تذكرت معه على الفور هتلر فكلاهما أصبح مرادفا للآخر » ٠

وفى حديث آخر قالت الينور روزفلت « ان طريقة مكارثى هى طريقة هتلر نفسها ، كما نشر جوزيف هارش فى عام ١٩٥٣ يقول ان الالمان حين كانوا ينظرون الى مكارثى يخف كثيرا شعور الذنب الذى كانوا يحملونه فى قلوبهم من جراء ما فعله هتلر ٠

والواقع أنه كان فى تلك المقارنات وجه كبير من وجوه الحق والصدق فكل من مكارثى وهتلر كان قائدا جماهيريا يملأ الدنيا صراخا وعويلا ، ويستفيد من اثارة المخاوف ٠ فلقد استخدم مكارثى الخوف من البلشفية، كما استخدمها هتلر ، غير ان هتلر كان يصف الشيوعيه بأنها تهديد ثورى للدوله ، على حين كان مكارثى يصفها بأنها مؤامرة استطاعت أن تحقق بعض النجاح داخل البلاد ٠

ومع ذلك فلم يكن مكارثى مثل هتلر تماما ، فبينما نجد هتلر يرسم برنامجه القادم لألف من السنين نرى مكارثى لم تكن لديه أية خطة معينة حتى لصبيحة الغد ٠

ولقد كان هتلر يهدف الى السيطرة التامة على جهاز الدولة على حين أنه يمكن المناقشة فى هذا الموضوع بالنسبه لمكارثى اذ أنه لم يشجع أبدا العمل المباشر بوساطة معاونيه ، كما لم ينظم مجموعات تتميز برد خاص لتؤيده ، كما انه لم يقم بتنظيم معارك شعبية ٠

انه لم يحاول مطلقا أن ينظم تنظيما سياسيا ، خارج هيكل الأحزاب،

لقد كانت حركته غريبة فى نوعها بعيدة عن أن تكون حركة قومية شاملة ذلك لأن المكارثية لم تكن مبدأ أو تنظيما .

وكان رد الفعل الناجم عن أعماله هذه متباينا ، فبينما نجد أن البعض كان يؤيد مكارثى ويرحب بانتخابه رئيسا للجمهوريه اذا البعض الآخر وهم الاغلبية الساحقه لا يهمه مكارثى فى شخصه بقدر ما يهمه ما يقوله مكارثى عن الحكومة والتهم التى يوجهها اليها والنقد اللاذع الذى ينتقده . وكان هناك فريق ثالث لا يعنيه مكارثى فى قليل أو كثير بل كان يعتقد أن مايردده مكارثى عامة ماهو الا هراء فى هراء وان كان فى قراره نفسه يشعر انه شخص له أهمية لاتنكر من ناحية أو أخرى .

والواقع أن السناتور الامريكى مكارثى لم يستطع أن يقنع سوى عدد ضئيل جدا من الشعب الامريكى بصدق ادعاءاته الا أنه استطاع أن يثير من حوله غبارا كثيفا ، ظن الكثير انه يخفى تحته نارا متاججة شديدة اللهب .

وكان معظم أنصاره من الجمهوريين يعتقدون ان سياسة مكارثى هى الطريقة الوحيدة لتقليم أظافر الحزب الديمقراطى والحد من سيطرته ونفوذه .

على أنه كان هنالك فريق من أنصاره يدعو الى الدوليه العالميه وزيادة الروابط مع انجلترا ، وفريق آخر يدعو الى ضرورة ازالة الفوارق الطبقية من الناحية الاجتماعية . هذا الى جانب الكاثوليك الرومانيين وخاصة من كان منهم من أصل ايرلندى ، فلقد ظن هؤلاء أن عهد مكارثى هو العهد الذى سيعوضهم عما قاسوه خلال العهود السابقة .

كان مكارثى فى نظر كل هؤلاء رمزا للتمرد والعصيان،ولقد اتخذوا منه القائد الذى ستتحقق على يديه آمالهم ، حتى لقد ظهر فى الحياة الأمريكية أناس عديدون ، اشتهر بعضهم بالثروة ، واشتهر بعضهم بالقوة والسلطان ، واشتهر آخرون بالذكاء والسياسه . كانوا جميعا قبل ذلك فى حكم العدم .

أما مكارثى فلم يكن سوى مجرد نموذج من أمثله عديدة من رجال البترول فى ولاية تكساس ، وهؤلاء الرجال فعلا هم الذين أحبوه،وأحبوا طريقته هذه فى تصريف الامور وأسرعوا فى تأييده ومساندته معبرين عن شعورهم باهدائه العربات الكاديلاك الفارهةالفاخرة الذهبيةمتنافسين فى دعوته لحضور اجتماعاتهم . واذا ما عرفنا ان من بين هؤلاء الناس من كان له شأن كبير فى المحيط المالى والتجارى بدا لنا بوضوح كيف استطاع السناتور مكارثى تثبيت مركزه وتدعيم أقدامه على مر الأيام .

ولم يقتصر الامر على هؤلاء فقط . بل أيد مكارثى فى دعوته هذه أولئك الذين يتغنون بالسياسة ويتشدقون بها دون أن يدركوا المعنى الحقيقى لتلك الكلمة ، يرددونها فى مجالسهم دون علم بمعناها .

ومن طبقة المثقفين ظهرت فئة تؤيد مكارثى ، وكان منهم جيمس بيرنهام وجون تشامبر ، وماكس ايستمان وويليام بكلى وهم أفراد لا يمكن وصفهم بالحماقة .

ومن أشهر ما كتب عنه فى تلك الآونة كتاب بقلم وليام ف. بكلى و ل . برنت بوزل تحت عنوان « مكارثى وأعداؤه » جاء فيه : ان المكارثية هى حركة يمكن أن يلتف حولها كل شخص له خلق متين وعزيمة صادقة

ولم يكن الكاتبان ولا من سار على نهجهما فى هذه الفترة على درجة من البله والسذاجة ، ذلك لانهما كانا وغيرهما يؤمنان بأن عليهما أن يتجنبا شره وسطوته ويده الحديديه التى لا تعرف الرحمة والعدل ، ذلك لان كلمة واحدة يتفوه بها ضد أى شخص كانت كفيلة بأن تكون بمثابة امر نافذ المفعول بطرد هذا الرجل وحرمانه من جميع حقوقه التى يتمتع بها كانسان له كيانه كغيره من المواطنين .

ولقد جاء فى استفتاء قام به معهد جالوب الشهير فى يناير سنة ١٩٥٢ عن مكارثى ان ٥٠ ٪ من الامريكيين يصفونه بأنه شخص معتدل وأنه يخدم بلاده بينما رفض ٢١ ٪ الادلاء برأيهم فى هذا الشان ، واجاب ٢٩٪ من الناخبين بأنهم لا يؤيدون مكارثى ولا أفعاله .

ولم تكن تلك النسبة المعارضة الضئيلة بذات شان كما لم تكن لها أية قيمة فعالة بالنسبة للسناتور مكارثى فلا غرابة اذن فى أن يخافه ويخشاه معاصروه ويقيموا له كل اعتبار .

لم يكن مكارثى يشغل منصبا مرموقا فى حزبه ولم تكن ولايه ويسكونسن ذاتها ذات شأن كبير في المحيط السياسى ، على الرغم مما كان يقال عنها بأنها عروس الجمهورية ، وهذه الحقيقة تجيب عن تساؤلنا عما اذا كان لمكارثى مقدرة من الدرجة الأولى ؟؟ .

وظل هذا الحال نحو ثلاث سنوات كاملة من الخمس التى ازدهر فيها وتألق نجمه فى السماء الامريكية الشديدة الظلمه . وعلى الرغم من ذلك فقد تمكن مكارثى من أن يعمل ، وأن يشتهر وان يغدو قطبا يجذب نحوه الآخرين فى وقت لم يكن له فيه شأن كبير سواء فى الدوائر الحكومية أو حتى فى شئون الحزب الجمهورى الذى ينتمى اليه .

ولقد استطاع خلال عام ١٩٥٢ أن يرتدى ثوبا فضفاضا وأصبح اسمه معروفا ، ليس فى أرجاء الولايات المتحدة الأمريكية ، بل أصبح يقرع الآذان فى جميع القارات ، كما أصبح حديث الصحف والمجلات العالمية ، حتى لقد اعتبرته جريدة الهيرالد تريبون بنيويورك ، خطأ ، بأنه قوة طبيعيه .

وفى ٣ يناير سنه ١٩٥٣ تولى حزبه مقاليد الأمور فى البلاد ، وهكذا وجد مكارثى نفسه فى الواقع ولمدة قصيرة أحد أعضاء الحكومة وليس واحدا من المعارضين كما كان من قبل . ومنذ تلك الآونه انتاب الموقف بعض التعقيد .

فعندما نظم الجمهوريون مجلس الشيوخ أصبح السناتور مكارثى الذى كان قد بدأ مدته الثانية رئيسا للجنة الاعمال الحكومية واللجنة الدائمة المتفرعة منها وهى لجنة التحقيقات . وكان من سلطة تلك اللجنة بحث أعمال كل هيئة حكوميه وسؤالها عما قد ترتكبه من مخالفات .

هكذا وجد مكارثى نفسه ممسكا بأعنة السلطان ووجد فيه سندا قويا متينا لسياسته كما وجد فى اللجنة التى يرأسها تأييدا لكل مايريد اتخاذه من الاجراءات ، وعاونه فى ذلك عـدد غير قليـل من الموظفين الحكوميين ومن رجال القوات المسلحة الذين تطوعوا بمده مباشرة بما يريد من المعلومات ، ودانوا له بالطاعة والولاء ، بل كان هنالك عدد غير قليل من الضباط يعملون بناء على توجيهاته وآرائه لا بناء على توجيهات وآراء رؤسائهم ، فما أن يطلب منهم مكارثى شيئا حتى يكونوا طوع يديه يمدونه بكل ما يريد من الانباء والاخبار ـ ولو عرضهم ذلك للمجالس العسـكرية كما كان من بينهم موظفون بالخارجيـة ومكتب التحقيق الاتحادى وديوان الموظفين وشكل هؤلاء جميعا دائرة سرية فى أجهزة الدولة المختلفة .

وحدث ذات مرة أن قام أحد ضباط المخابرات بابلاغ مكارثى بعض المعلومات المتعلقة بأمن الدولة والخاصة بأجهزة سلاح الرادار الخـاص بسلاح الاشارة فى الجيش ، كان هذا مخالفا من الناحية القانونيـة ، وجريمة يعاقب عليها القـانون سـواء بالنسبة للضابط أو لمكارثى ذاته الذى تلقى هذه المعلومات . وفى خلال التحقيق بذلت الكثير من المساعى لاثبات أن من حقه كسناتور أن يكون على علم بتلك المعلومات .

ولم يكن مكارثى بالشخص الذى يقدر القانون أو يعيره أى التفات ، وانما كان كل اهتمامه أن يظل جهازه مصونا وأن تكون وعوده بحماية من يعملون معه قائمة ، وفى أثناء التحقيق دار الحوار التالى :

السناتور ديركسن : (من ولاية ايلنوى) « يا سناتور مكارثى هل تصلك المعلومات السريه بصورة استثنائية بصفتك رئيسا لاجنة التحقيقات الدائمة فى مجلس الشيوخ أو بصفتك عضوا فى اللجنه فقط ؟ .

السناتور مكارثى : انه من الامور التى تتكرر ليلا ونهارا بالنسبة لى أن أتلقى المعلومات من أناس يعملون فى الحكومة .

ديركسن : وهل هذا ينطبق على الكثير من الاجهزة الحكوميه ؟

مكارثى : هذا حقيقى . هذا حقيقى .

وكان مكارثى يردد دائمـا : سأواصل الحصول على المعـلومات التى أريدها دواما ... هذه هى سياستى ولن تكون هناك قوة عـلى الارض بمانعة من ذلك . اننى أود أن أهنىء الافراد الذين يقدمون لى المعلومات حتى تلك التى يختم عليها بعض الموظفين البيرقراطيين بأنها « سرية » من أجل حماية أنفسهم .

كذلك أود أن أذكر المليونى موظف العاملين بدوائر الحكومة المختلفة أن من واجبهم امدادى بالمعلومات التى يعرفونها عن الفساد والخيـانة وعن الشيوعيين ، وان الولاء للرئيس المباشر للموظف لا معنى له عـلى الاطلاق بالنسبة للولاء للوطن . كما أؤكد أن أحدا من هؤلاء الرؤساء لن يحميه مركزه مهما كان هذا المركز من ادانته وتوقيع العقاب عليه كذلك أؤكد أن أحدا لن يقف أمام القضاء بسبب ما يقدمه لنـا من معلومات وبيانات « ان القانون هو أنا وأنا هو القانون » .

هكذا كان يقول مكارثى · لقد كان يعتبر نفسه والدوله شيئا واحدا ·

لقد وصف السيناتور ستيوارت سيمنجتون ، من ولاية ميسورى الحكومة الامريكية فى عهد مكارثى بأنها « اناء يسيل فيه الدماء »·

وقد يكون من المؤكد أن الشيوعيين الذين مهدوا لظهور حركة سرية مناهضة للمكارثية كانت لهم شبكة أكبر من شبكة مكارثى ونوايا أسوأ من نواياه · الا أن شبكة مكارثى كانت فريدة فى نوعها فى العصر الذى نشأت فيه بل وفى جميع عصور التاريخ بسبب الولاء الذى كانت تمنحه لشخص واحد ·

ومن الممكن أن يعيش الاشخاص أو ينتخبوا لمباشرة مهام حددها الدستور أو القانون ، وقد تكون أوراق اعتمادهم صحيحة أو أن رئيس الجمهورية خولهم سلطة تمثيله ، ولكن هؤلاء بالنسبة لمكارثى لم تكن لهم اى سلطة سوى ما يمنحه لهم مكارثى ·

ولقد حمل مكارثى على الوزراء المدنيين وهاجمهم بشدة وقسوة وقال : «انه من العار الذى ينعكس على رجال وأفراد الجيش أن ندع حفنة من المدنيين يحاولون التحقق فى نشاط الشيوعيين ويصفون أنفسهم بأنهم وزراء « للجيش أو للدفاع » ·

وكان لقول مكارثى هذا صدى بعيد ، فقد صرح السيناتور كارل مونت من ولاية داكوتا أن مسألة استطاعة وزير الجيش الكلام باسم وزارة الجيش يجب أن تطرح جانبا الى ما بعد أن يقف الوزير موقف الشهادة ·

وهكذا تشعبت سلطة مكارثى فسيطر على الجيش كما سيطر على غيره من السلطات والدوائر الحكومية الاخرى · وفى هذا الصدد كتب هانسون بولدوين المحرر الحربى لجريدة التيمز بنيويورك سنة ١٩٥٤ ما يأتى :

« ان جيشنا الآن لم يعد هو جيشنا الذى كنا نعرفه من قبل أثناء فترة الهجوم على ألمانيا (يقصد جيش أمريكا أثناء الحرب) فلقد هبطت معنوياته واختل نظامه وكفايته ، وسواء عرف الرئيس دوايت أيزنهاور ذلك أو لم يعرف فان السيناتور جو مكارثى أصبح يشاركه فى قيادة الجيش ·

لكن هذا القول يعتبر مبالغة ، ذلك أن أيزنهاور كان يملك حق اعلان الحرب على حين لم يكن مكارثى يستطيع مثل هذا العمل ، هذا وان كان الكاتب لديه بعض الحق فى هذا القول ، ذلك لانه لم يكن من حق مكارثى معرفة الاسرار العسكرية ، ومع ذلك كان يعرفها متى أراد ذلك ودون أن يحرك أحد من المسئولين ساكنا أو يبدى اعتراضا ·

لقد كان لمكارثى السلطة فى استدعاء وزير الجيش ··· وكان هذا يلبى الطلب سعيدا بهذا الشرف أو خوفا من سلطان مكارثى ولجنته ·

وان نظرة الى الرجلين لتدل بوضوح على ان مكارثى كان يهمل هذا الرجل وكأنه ليس له وجود .

ولعل من الحوادث التى وقعت بين مكارثى وستفنسن وزير القوات المسلحة ما حدث عندما أراد مكارثى استدعاء البريجادير الجنرال رالف زويكر أحد كبار رجالات الجيش المتقاعدين من فرقة المدفعية ، اذ صرح ستيفنسون بقوله : لقد آمرت بألا يظهر الجنرال زويكر أمام السناتور مكارثى يوم الثلاثاء فى نيويورك ولا يمكن أن أسمح لأى ضابط منقواتنا المسلحة بأن يعامل تلك المعامله غير اللائقة .ولكنه سرعان ما عدل تصريحه عندما أفاق الى رشده بقوله : اذا ما قررت اللجنة استدعاء الجنرال زويكر فيجب على الجنرال الذهاب اليها فى الوقت الذى تحدده له » .

أما عن تلك المعامله غير اللائقه التى جاءذكرها فى أقوال ستيفنسون الاولى والتى لم يشر اليها بعد ذلك فهى ما قاله السناتورمكارثى للجنرال بعد ذلك وهى كما يلى :

« انك عار لمن يرتدون اللباس الرسمى ، فانك تحمى المؤامرات الشيوعية ... انك لا تصلح لان تكون ضابطا ، فانت رجـــل جاهل وستحاكم علنا يوم الثلاثاء القادم .

وفيما بين الخطاب الاول والثانى تناول ستيفنسن وزير الجيش الذى كان يحترمه من قبل كل من جيمس مونرو وجون كالهون ولويس كاس وأوليس جرانت واليهوردت وويليـــام هوارد تافت وهنرى ل . سيمسون ، طعام الغداء مع مكارثى ونائب رئيس الجمهورية وعدد من أعضاء مجلس الشيوخ .

وقال مكارثى بعد ذلك « ان ستيفنسـن ما كان ليستسلم أكثر من ذلك ، لو انه ركع على ركبتيه » هذا وان كان مكارثى قد نفى انه قالذلك أثناء سماع شـهادته فى وزارة الجيش وبعـد حلفه اليمين ، وكان هـذا النفى لا معنى له فقد سمع أقواله مشاهير رجال الصحافة .

وذكرت صحيفة التيمز اللندنية عند ما سمع مراسلها ذلك ، ان مكارثى قد حقق اليوم ما عجز الجنرال بورجين والجنرال كورنوواليس عن تحقيقه ألا وهو استسلام الجيش الامريكى » .

واستمر الحال على هذا النحو طيلة عام ١٩٥٣ وبدايه عام ١٩٥٤ واستطاع مكارثى أن يستدعى للتحقيق كلا من رئيس المخابراتوالميجور جنرال ريشارد . س. بارتردج وغيرهما .

وكان مكارثى هو السناتور الوحيد الموجود ، وتولى كبير المستشارين روى كوهن مهمة استجوابهم ، ذلك لان واحدا من العـاملين فى مكتب بارتردج قد وجد كتابا بقلم كوليس لامونت مسـجلا فى قائمة الكتب الموجودة بالمكتب ، والمعروف أن هذا الـكاتب يعطف على الشـيوعية والشيوعيين وقد ذكر ذات مرة فى كتاب له أن النـــاس فى سيبيريا لا يفكرون فى الخروج على الشيوعية .

ولم تمض سوى فترة قليله بعد انتهـاء التحقيق مع بارتردج حتى

وجد نفسه قائدا لاحدى الكتائب الفرعية التى لا أهميه لها فى مكان ما بأوربا .

ومن ناحيه أخرى نجد أنه لم يحدث للميجور الجنرال كيرك لوتون أحد قواد الجيش بولاية نيوجرسى شيئا . ذلك لانه عاون السناتور مكارثى فى مده بالتحريات والبيانات عن تلك الكتيبة فى الوقت الذى كان فيه ستيفنسون وزيرا للقوات المسلحة ، وكان يرى نقل هـذا الجنرال من منصبه وإبعاده عن الولايه ، لقد رفض مكارثى هـذا الاجراء من جانب الوزير وظل كيرك فى منصبه برغم أنف وزيره أدلاى ستيفنسون .

وبات الموقف فى الولايات المتحدة الامريكية يوصف بأن الرئيس دوايت ايزنهاور انما يشارك السناتور مكارثى فى الحكم سواء كانت تلك المشاركه بطريق مباشر او غير مباشر ، ولم يكن هذا هو الشعور السائد فى الولايات المتحدة الامريكيه فحسب ، بل ان أيزنهاور نفسه كان يشعر بهذا الاحساس ولكنه كان لا يستطيع منه فكاكا .

لم يكن هذا الاحساس غريبا اذن على الرئيس أيزنهـاور ، ففى غضون الشهور الثلاثة الاولى من عام ١٩٥٣ أزيح ثلاثة من رؤساء ادارة المعلومات الدولية بناء على رغبة السناتور مكارثى . وفى شهر يونيو من العام نفسه بعث مكارثى باثنين من أتباعه وهما : روى كوهن ، ج. دافيد شين ، وهذا الاخير اشتهر بجهله المطبق عن الشيوعيـة . وما لبث أن أصبح فيما بعـد المستشار الاول للجنة الذاهبـة الى أوروبا لغرض تفقـد شئون الوكالات الامريكيه هنالك ، وبعد انتهاء الزيارة وعودة كل من المبعوثين وتقـديم تقرير للسـناتور مكارثى حدثت تغييرات هامه فى تلك الوكالات .

وعندما قام الرئيس أيزنهاور بتعيين جون فوستر دالاس كوزير للخارجيه تساءل الناس فى هذا الوقت وحاروا فيمن سـيكون المسئول الحقيقى عن تصريف شئون الدولة الخارجية هل هو دالاس بصفته الوزير الشرعى لهذه المهمة أم هو السير ماك لويد الذى عينه السناتور مكارثى مسئولا عن الخارجية وضابطا للامن .

وكانت لدالاس حرية كتابة ونشر ما يشاء من الاحاديث يحذر فيهـا الروس من عاقبة تصرفهم ، وكان له بالاضـافة الى ذلك الحرية التـامة فى عقد أى مؤتمر يريده مع شانج كاى شيك على حين نجد أن الامر يختلف اذا ما أراد دالاس تعيين سفراء او توظيف أحد او الاستغناء عن بعض الموظفين، فقد كان من الضرورى أن يتفق مع ماك لويد فى هذه الشئون ـ وكان هذا بدوره ـ يرجع للسناتور مكارثى فى مثل تلك الامور .

ولقد وضح هذا الامر بصورة خاصة عند ما اعترض السـناتور مكارثى على تعيين شارلس و . بوهلن سفيرا للولايات المتحدة الامريكية بالاتحاد السوفييتى فقد أعلن مكارثى أن دالاس والرئيس الامريكى دوايت ايزنهاور قد تخطيا السير ماك لويد عندما قاما بتعيين بوهلن فى هذا المنصب

ولما كان كل من دالاس وايزنهاور يرغب فى الابقاء على قرار تعيين بوهلن فى هذا المنصب والحصول على قرار التاييد من مجلس الشيوخ

الامريكى ، ســـاعدهما وآزرهما السناتور روبرت أ . تافت فى ذلك ، وعندئذ قامت داخل أرجاء المجلس مناقشات حامية الوطيس حيث كان مكارثى يتمتع بنفوذ كبير على أعضـائه ، وانتهت المناقشـه بالموافقـة على رغبة السناتور مكارثى فى عدم تعيين اى شخص آخر بعد ذلك فى مثل تلك المناصب الهامه قبل الرجوع الى مكارثى والحصول على موافقته فى هذا الشأن .

وفى ٢٨ مارس ١٩٥٣ أعلن مكارثى أنه بما لديه من سلطات فان له السيطرة الـكاملة على شركات الملاحة اليونانية التى كان قد تمكن من الاتفاق معها على عدم نقلها لأية بضائع شيوعية أو لأى دولة تسير فىفلك الاتحاد السوفيتى .

وأعلن فى الوقت نفسه أنه فى صدد الوصول الى اتفـاق مماثل مع بعض الشركات الملاحية البريطانية .

وزاد على ذلك أنه قد توصـــل الى هذا الاتفاق بمفرده وذلك لانه لا يريد تدخل أحد فى هذه الامور .

وعندما أعلن هارولد . و . ستاسن رئيس ادارة الشئون الاجنبية فى تلك الآونة أن مثل هذا العمل الذى قام به السناتور مكارثى منفردا انما يعد تعديا صارخا على سلطات وزير الخارجية وغيره من المسئولين ، عندئذ صرح الرئيس دوايت أيزنهاور بقوله :

ان ما أعلنـه ســتاسن لا يعبر الا عن رأيه الشـخصى وانه بصفتـه رئيسا للولايات المتحدة لا يشاركه فى رأيه هذا ، ولجأ رئيس الجمهورية الى طريقة دبلوماسية فقال فى مؤتمر صحفىعقده بالبيت الابيضالامريكى انه لم يكن باستطاعة السناتور مكارثى التفاوض لعـــدم وجود شىء يتفاوض من أجله أو يتنازل عنه أو يتمسك به . وتجاهل أيزنهـــاور حقيقة ان مكارثى كان باستطاعته ان يتفاوض بما لديه من ســـلطات تخولها له قوة التحقيق التى لديه .

وقد ذكر أحد زملاء مكارثى فى اللجنـة ويدعى السيناتور مونت أن أصحاب السفن اعتقدوا أنه من الافضل أن ينتصر مكارثى على أن يفقـدوا الشىء كله : وتبع ذلك دعوة دالاس لمكارثى الى تناول الغداء ، وبعد انتهاء تلك المقابلة أصدر كل من دالاس ومكارثى بيانا مشتركا أعلنا فيه أن ماقام به مكارثى انما هو عمل يهدف الى الصالح الوطنى .

وهكذا كان الحال فى تلك الايام ، لقد كان أعضاء الكونجرس يسلمون لمكارثى بكل مايريد . بلكان يكفى مجرد التلميح حتىيحصلمكارثى على الموافقة . ولا أدل على ذلك من أنه فى غضون فبراير سـنة ١٩٥٤ طالب السناتور مكارثى باعتماد مبلغ ٢١٤ ألف دولار للجنة الفرعية الدائمة ، وبالرغم من أن الجميع كانوا يعلمون ان تلك اللجنة لم تقم بأى عمل ذى قيمة فأنهم وافقوا على اعتماد هذا المبلغ الذى طلبه ولم يبـد صوت واحد معارض سوى صوت السناتور ويليام فولبرايت من لاية اركنساس .

ولعل السبب فى ذلك أن كل فرد بات يرتعد عند مجرد سماع كلمة

مكارثى . لقد كان كل الاعضاء يؤمنون بان مكارثى يستطيع أن يحطم اى معارض وكانت الشواهد تدل على ذلك .

لقد كان لمكارثى من السلطة الضخمه ما كان يستطيع به أن يقرر دخول الاعضاء مجلس الشيوخ أو عدم دخولهم .

وفى عام ١٩٥٠ أعيد بعد مضى أسابيع على الخطاب الذى ألقاه مكارثى فى قرية هويلنج انتخاب ميلارد تيونجز رئيسا للجنه التى ستتولى التحقيق فى التهم التى وجهها مكارثى الى وزارة الخارجية الامريكية ، وكان تيونجز عملاقا فى مجلس الشيوخ ، ولم يكن هناك من هو أفضل منه ، فعلاوة على كونه رجلا متدينا ثريا فهو عضو الدائرة الداخلية فى مجلس الشيوخ . وقد حاول فرانكلين روزفلت ١٩٣٨ عندما كان فى أوج عظمته التأثير على تيونجز ولكنه فشل .

ولكن مكارثى الذى لم يكن بالشىء الذى يذكر عام ١٩٤٩ هاجم تيونجز وانتصر عليه وكانت وسائل كلا الطرفين تختلف بطبيعة الحال .

ذهب فرانكلين روزفلت الى ولاية ماريلاند وحاول اقناع الناخبين باختيار شخص آخر بدلا من تيونجز بينما ظل مكارثى فى واشنطن وأرسل العملاء الى ماريلاند ينشرون الاقاويل التى مفادها أن تيونجز من الموالين للشيوعية .

وفى العام نفسه خاض مكارثى الحركة الانتخابية لصالح سكوت لوكاس الديموقراطى عن ولاية النيويز غير أنه لم ينجح فى الانتخابات . وانتقل دور تيونجز ، كالد أعداء مكارثى ، الى وليام بنتون كونكتيكوت الذى قدم مشروعا الى الكونجرس يطالب فيه بطرد مكارثى . ولم يطرد مكارثى الا أن بنتون سقط بفضل تأثير مكارثى على أصوات الناخبين .

وبعد ذهاب بنتون حمل اللواء ارنست ماكفارلاند من ولاية اريزونا ولكن مكارثى استطاع أن ينزل الهزيمة بالبطل الجديد . ولقد أعيد انتخاب مكارثى ثانية فى عام ١٩٥٢ وتسلم مهام منصبه فى ٣ يناير سنة ١٩٥٣ وكان المجلس آنئذ يحسن صنعا لو أنه رفض مكارثى وقبوله عضوا فيه أو على الاقل مناقشة حقه فى الانتساب للمجلس . وبالفعل كانت هناك عوامل عديدة تدعو لمثل تلك المناقشة وفى عام ١٩٥٢ قامت اللجنة الفرعية المختصة بالانتخابات والامتيازات النيابيه للجنة القوانين ببحث بعض تصرفات مكارثى السياسية والخاصة وذلك بناء على الاقتراح المقدم من السناتور بنتون . وقد توصلت اللجنة لاثبات أن مكارثى شخص لا يتورع عن اتباع أحقر الطرق وادنئها لتحقيق رغباته ونزواته الشخصية ، ذلك لأنه ثبت بصورة قاطعة للجنة أنه قد اضاف لحياته الخاصة الكثير من الاموال التى كان قد جمعها من أجل الدفاع عن أمريكا دون استخدامها لمكافحة الشيوعية . كما ثبت كذلك أنه قد تسلم مبلغ ١٠٫٠٠٠ دولار من مدير مؤسسة لسترون المستر كارل ستراند لند . كما أنه قام بتغطية بعض ديون مكارثى الخاصة الناجمة عن مراهناته فى السباق ، كذلك قام مكارثى باستثمار عشرة الآلاف دولار فى شركة الخطوط الجوية والبحرية وحققت ربحا قدره ٣٥٫٠٠٠ دولار قبضها مكارثى ، كما ثبت أنه عندما كان عضوا

فى اللجنة الفرعية لشركة السكر حدث أن احتاجت شركة البيبسى كولا لكمية من السكر تزيد عن القدر المصرح به لها فقـام مكارثى بتحقيق تلك الرغبة بعد أن اقترض منها مبلغ يربو عن الـ ٢٠٫٠٠٠ دولار كان له أكبر الأثر فى تحديد رواتب الموظفين بل وفى خفض نسبة ما تنتجه الشركة .

هذا بالاضافة الى ما اتضح للجنـة من تدخله فى الضرائب وقوانين البنوك والمؤسسات التجارية ومن قبوله للرشاوى والهبات . وعندما طلبت اللجنـة من مكارثى المثول أمامهـا للرد على تلك الوقائع استـهان مكارثى باللجنة واتهمها بأنها لجنـة شيوعية وأخذ فى كيـل الاتهامات لها بدلا من الرد على التهم الموجهة اليه ، بل انه أهان ثلاثة من رؤسائها .

وعندما حان وقت افتتاح الكونجرس عام ١٩٥٣ ظن الـكثيرون أنه قد يرتفع صوت واحد على الاقل يعترض على أحقيه مكارثى فى وجوده فى هذا المكان . ولكن افتتحت الجلسه وانتهت دون أن يبرز هذا الصوت الذى توقعه الـكثيرون . وهكذا تحطمت آمال الـكثيرين بل زيادة على ذلك فقد أيده الكثيرون وعضدوه .

وهكذا أيضا تمكنت المكارثية من تحطيم المبادىء والقيم الانسانية على حين رفعت من شأن التافهين والسوقة الغوغاء ، أو بمعنى آخر حولت الانظار عن الحاضر وركزتها على الماضى الذى شوهته ومسختة حتى أصبح من العسير التعرف عليه . وقد انكمش امام سـطوة مكارثى وزير الجيش وقدم الجنرال زويكر ضحية فى الجـدال العنيف حول ما اذا كانت ترقيـة الطبيب ايرثنج بيريس من رتبه كابتن الى ميجور قد تمت بصورة لائقة . ولم يكن هذا الامر بذى أهميـة نظرا لأن مدة خدمة الطبيب بيريس كانت تسمح له بذلك ولـكن مكارثى ادعى أنه وجد فى ترقيـة بيريس مفتـاحا لتغلغل النفوذ الشيوعى فى صفوف الجيش الامريكى .

أما عن أسباب ابعاد رئيس الفرقة الثانية فتعود الى اتهـامه بقبول دعوة مكتبية لدراسة الوسائل الشعبية لسكان سيبريا على حين كان الواقع أن رئيس الفرقة المذكورة لم يكن يعرف شيئا عن ذلك . واما لماذا توالت الرياسات على هيئة الاستعلامات الدولية وصوت امريكا ، فهذا يعود لشخصين تافهين هما كوهن وشين اللذان عثرا فى مكتبة هيئة الاستعلامات الدولية على قصص وضعها كاتب موال للشيوعية ، ولأن موظفة شابة فى صوت أمريكا شهدت انها تلقت دعوة من زميل لها بشأن قضاء اجازة نهاية الاسبوع .

لقد كانت لهذه الاساليب البالية مكانتها الكبيرة لدى مكارثى ذلك لان المكارثية كانت قبل كل شىء هى البعـد عن الواقع والهروب من الحقيقة ، فهى تعمل على تضخيم الاشياء التافهة وتجعلها أمورا هامة والعكس بالعكس . كما أنها تقلب الحقائق والامور تبعا لمصالحها وأغراضها وتجعل من السفهاء عقلاء وتسفه أحلام العقلاء والحكماء بالاضافة الى أنها تحول الانظار عن الحاضر وتركزها على الماضى . وأما فيما يتعلق بالشيوعية فليس ثمة أحد لا يؤكد شدة خطرها على أمريكا .

ففى تلك الفترة كان العالم الغربى يخشى من قوة الاتحاد السوفيتى

بل زاد من هذا الاحساس ظهور الصين الشعبية بملايينها العديدة كحليفة للاتحاد السوفيتى ومن سيطرة الروس على الاسلحة النووية الفتاكة .

وبعد انتهاء الحرب الكورية أيقن الجميع أن الاتحاد السوفيتى لن يتوانى عن الدخول فى أى حرب برغم علمه بما سيترتب على ذلك من مخاطرات وأصبح العالم الشيوعى فى أوائل عام ١٩٥٠ ذا تأثير كبير داخل الولايات المتحدة حتى لقد برزت فى الاذهان الامريكية ضرورة تكوين قيادة متحالفة تستطيع الوقوف أمام التهديد السوفيتى بزعامة أمريكا .

لكن المكارثية أغفلت تلك الحقيقة وركزت جهودها لمحاربة الشيوعية فى مظهرها فقط ، ولا أدل على ذلك من تصريح مكارثى عام ١٩٥٢ عندما أعلن أنه : لم يعد يهم رجل الشارع أو المزارع أو العامل أو الموظف سوى تغلغل الشيوعية داخل الحكومة واضاف الى ذلك قوله : « ان النضال ضد الشيوعية العالمية انما هو ابتعاد عن نضال الشيوعية نفسه داخل البلاد » .

وتحدث مكارثى عام ١٩٥١ عن تدخل الولايات المتحدة فى حرب كوريا فقال : « لقد عملت الحكومة التى لم تقم بمحاربة الشيوعية فى الداخل على محاربة الشيوعية فى الخارج » .

وكان من الممكن الا يكون لهذا الكلام أية أهمية فى أى وقت آخر ولكنه فى عام ١٩٥١ ، ١٩٥٢ كان له شان آخر .

وتاريخ الشيوعية فى أمريكا يرجع الى الثلاثينات (١٩٣٠ــ١٩٣٩) واوائل الأربعينات من هذا القرن وذلك عندما برزت الوجود أول حركة شيوعية فى البلاد وتكون أول تنظيم شيوعى داخل الحكومة وكان من أهم أعمال الحكومة وقتئذ تحطيم هذا التنظيم والقضاء عليه .

وما أن حل عام ١٩٥٠ حتى تمكنت الحكومة من القضاء على تلك المنظمات والقاء القبض على زعمائها ، وعلى جواسيس الذرة .

وفى عهد ترومان طبق نظام خاص بالأمن فى دوائر الموظفين بصورة مشددة اذ أن هذا النظام كان معمولا به منذ أوائل الحرب وكان هذا النظام سببا فى ادانة الجيرهيس عام ١٩٥٠ بعد طرده من الحكومة عام ١٩٤٦ .

وقد أقلع مكتب التحقيقات الفيدرالى عن اهتمامه بلصوص البنوك وتجار العبيد وتوجه باهتمامه الى الشيوعية . وكان الحزب الشيوعى آنذاك فى حالة شديدة من الانقسام بسبب خيبة الأمل التى أصابت معظم أعضاء الحزب ، ولأن الحكومة اعتقلت معظم أعضائه وزعمائه . وبالرغم من جميع الاحداث التى كانت قائمة آنذاك فان مكارثى لم يهتم الا بقضية الميجور بيريس واخبار كورليس لامونت الفتاة التى سمعت حديثا تافها فى احدى هيئات الدعاية .

ولا شك فى أنه كان هناك بعض العملاء الشيوعيين فى أوساط الحكومة ، كذلك فان الشيوعية ليست الا مؤامرة دولية ، وقد تمكنت فى الماضى من التغلغل فى أجهزة أمن عدد من الدول كالمانيا الفاشيه واليابان الامبراطورية، وقد يكون من المدهش ألا يوجد بعض الشيوعيين بين مليونين

أو ثلاثة ملايين موظف تستخدمهم حكومة من الحكومات . ولكن الاضرار التى يستطيع هؤلاء القيام بها غير ذات بال .

وقد اتخذت فى امريكا الخطوات اللازمة قبل مجىء مكارثى للكشف عن العملاء وتحديد الاضرار التى يستطيع من بقى منهم أن يحدثوها فى البلاد .

واذا كان مكارثى قد كشف النقاب عن بعض العملاء فانه فى الواقع لم يفعل شيئا لوقف نشاط من بقى من العملاء .

وحتى اذا قيل ان مكارثى قد أحسن صنعا فان المكارثية لا تزال تتردى فى أوهام خطيرة وهى تصر — كما قال فيليب راف — على أن الشيوعية خطر لا على الولايات المتحدة ، ولكن فى داخل الولايات المتحدة على حين أن العكس هو الصحيح .

الفصل الثانى

حياة مكارثى وأعماله

يقول جيمس فاينموركوبر فى كتابه (الديمقراطى الامريكى) : ان المسرح الحق لزعيم الغوغاء هو الديموقراطية ذلك انه عندما لا يكون للرأى العام أى سلطان فلن يكون لمضلل أى دور يقوم به ٠

ولقد كان لدى الآثينيين زعماء للغوغاء فى كل ركن من أركان أثينا . انهم كانوا يطلقون (الكلم) وكانوا يحددون معناه ويكررون فى ذلك ٠

ويقول يوربيديس فى كتابه (اوريستز) ان زعيم الغوغاء رجل مفلوت اللسان متطرف يؤمن بالفوضى والشغب ، ويقود الى الهلاك من حوله بكلمات فارغة ٠ كالطبل الاجوف ٠ ويقول اريستوفانيس فى مؤلفه (الفرسان) من الخصائص اللازمة لزعيم الغوغاء أن يكون قذر اللسان حقير المنبت ، وضيعا .

ولعل كل هذه الاوصاف وغيرها تنطبق على مكارثى بسبب أساليبه الدنيئة التى كان يتبعها ، ويساعده على ذلك مواهبه الطبيعية ومناحى الذكاء الخارقة التى كان يتمتع بها ٠ فلقد كان مفلوت اللسان يقول اى شيء يطرأ على ذهنه ثم يبحث بعد ذلك عن أسباب يبرر بها ما قاله ٠

كما أنه لا يوجد ما يدل على أنه هو نفسه كان يؤمن حقا بما يقول أو أنه كان يصدق ما كان ينشره من زيف ومغالطات ٠

كان يؤمن بالفوضى ويظهر أنه كان يعرف جيدا اسرارها وطرقها ٠ وقال له ذات مرة جوزيف ٠ ل ٠ ويلش مستشار الجيش بالحرف الواحد :

(انظر الى نفسك يا مكارثى ٠٠٠ انك تملك عبقرية فذة من أجل خلق جو من الفتنة والفوضى وبث الاضطراب فى عقول المواطنين) وكان جوزيف على حق فيما ذكره ، ذلك لأن سياسة مكارثى لم تكن لتخرج عن كلمات ثلاث هى :

١ ـ الضوضاء ٠

٢ ـ البلبله ٠

٣ ـ الفوضى ٠

ولعله لم يكن يسعى مطلقا للقوة والتقلب فى الوظائف حتى يبلغ منصب الرياسة الامريكية ٠ وانما كل ما كان يسعى اليه هو المجد ٠ قال ذات مرة لصديق له (انه اما أن تنتهى حياته فى البيت الابيض أو فى السجن) ٠

ولقد استخدم مكارثى السلطة ولكنه كان فى ذلك مثـل نابليون بونابرت يستخدمها كالكمان ليشنف بها أسماعه. ولقد كانت الانتصارات التى يحققها ــ شأنه فيها شأن نابليون ــ أغلى من المركز الذى كانت تحققه هذه الانتصارات لهما .

وكان لديه ما يدعوه الى الاعتقاد بوجود نيف ومائة شيوعى فى ادارة المخابرات المركزية . وقال انه يعتزم القضاء عليهم وتعقدت المشكلة .

وأعلن رئيس الجمهورية أن لجنة برياسة الجنرال مارك كلارك تبحث هذه المشكلة ، ولكن التحقيقات لم تسفر عن شىء . وكان باستطاعة السناتور مكارثى أن يتغلب بسهولة على المعارضة ويحقق مآربه ، ولكنه أدرك بفطنته أن هذا النصر سيكلفه أكثر من أى انتصار آخر. لانه يتطلب جهودا جبارة دون أن تكون له فائدة كبيرة فقال : اعتقد أننى سأتخلى عن هذا . وهكذا بقى الحال سيئا حتى وقتنا هذا .

كان مكارثى شخصا سليط اللسـان دائما . شخصا وضيعا بكل ما فى تلك الكلمة من معان . لا يريد من انسان أن يهتم بأحد سواه . كان بدائيا فى الفاظه وسلوكه وربما فى غريزته واذا استطاع مكارثى أن يخفى الجانب الانسانى فى نفسـه . فانما يرجع هـذا لادراكه عدم ضرورة هذا الجانب فى أعماله .

ويبـدو أن مكارثى أدرك حاجة الجميع الى بطل ، لان الشـعب كان مضطربا ، ولان الجميع كانوا غير سعداء ازاء عملية التقريب بين جميع افراد الامة ، وصرح بذلك فى قوله (اننى غير راض لأن الحـاجة قوية فى هـذه الظروف ، ويستطيع المرء أن يدرك بسهولة أن الثـائرين فى المجتمعات التى يسودها الظلم وعدم المساواة يميلون الى التقشف والزهد . ومثال ذلك روبسبيير ولينين وغاندى وفيدل كاسترو اما فى ظروف قريبة الشبه من ظروفنا فان المرء يجد أشخاصا كهتلر وموسولينى) .

وعموما فقد كان مكارثى يفخر بشهرته فى القسوة والعنف والتهور والوحشية . ولم يكن يبالى عند ذهابه الى واشنطن بان يهدد وزير الجيش روبرت ستيفنسون بخلع رأسه اذا لم يؤيده هذا فى قضيـة الجنرال زويكر . وقد ذكر مكارثى لجمهور الناخبين فى ولاية ويسكنسن أنهم اذا سـألوه تأييـد أحد مستشارى ادلاى ستيفنسون فى الانتخـابات ضـد ستيفنسون نفسه لفعل ذلك ولاستطاع المستشار أن يفوز .

وكان أنصاره يتقبلون جميع أقواله وكانوا يبتهجون لعظمـه قائدهم وزعيمهم ، ومن الاشياء التى كان يفعلها السناتور مكارثى أنه كان يحشد المؤيدين لحركته . وكان مكارثى فى الوقت نفسه عدوا للشخصية وللابداع وللاستقلال وللفكرة المغامرة ، وبالرغم من أن المكارثيه لم تكن مذهبا باى معنى من معانى هذه الكلمة أو مبدأ فانها دعت الى اصدار أحكام مذهبية على الآخرين . كمـا أنها خلقت جوا كانت الفتنه فيـه شيئا تحوطه الشكوك والريب ، ويتطلب تفسيرا وتوضيحا واعتـذارا وليس من الصواب القول بأن المكارثية حاولت أن تفرض قبولها على الناس فرضا ، كما أنه لم يكن

لهـا هدف ايجـابى . ولـكنها كانت تسـعى وراء الفوضى والقضـاء على أعدائها .

ولا شك أنه أمر يدعو الى السخرية ان هذا الرجـل الذى كان يدعو الى توافق الناس جميعا كان ثائرا بفطرته . وكان أقل الساسة ميـلا الى التناسق مع غيره ، كما كان ميالا للمعارضة والانشقاق لا لشىء اللهم الا لغرض المعارضة ولخلق الانشقاق فقط . لقد كان يهاجم الهيئات والسلطات التى تعتبر معقـل التناسق والوئام كالجيش ورجال الدين البروتستانت والصحف والحزبين الـكبيرين والموظفين والسـاسة . وكان يعمـل بوحى داخلى ، كما أنه وصل للذروة فى وقت كان رجال العلاقات العامة والاعلان مثل روبرت مونجستون وغيره يكتبون قواعد السياسة ، لم يتبع مكارثى فى حياته ما اتبعه أى قائد من قبل كمـا أنه لم ينتـم الى أى تنظيم سياسى معروف .

كان مكارثى يعارض كل لجنة وكان يهاجم كل سلطة لغرض الهجوم ولم يفكر مرة واحدة . تفـكيرا ايجابيا فى أى موضوع وكان يردد دائمـا قوله : انه يحاول ايجاد تضامن قومى فى وقت كان هو فيه يهدم كل تضامن واتفاق داخلى .

هذا الى جانب أن مجـرد وجوده كان هجوما صريحا على السـاسة الامريكيين ولم يكن يهمه فى كثير أو قليل رأى الناس فيه . لم يكن يهمه كثيرا ان يسمع أن الناس يحترمونه ويقـدرونه .كما أنه لم يكن يعبـأ بان تبرز صورته محتلة الصـفحات الاولى من الجرائد والمجـلات أو أن تعرض الساعات الطويلة على شاشة السينما والتليفزيون . كما أنه لم يكن يعنيه أن يبدو متمددا على الارض مخمورا ممسـكا بيده زجاجات الويسـكى والشمبانيا .

ومن المعروف أن السـياسيين فى كل مكان يحـاولون اخفـاء ولعهم بالشراب أو السباق أو المغامرة ، ولكن مكارثى كان يعلن ذلك على الملأ فى كل مناسبة ، وكان يشعر بارتيـاح وسرور تام اذا عرف عنـه الناس أنه سكير من الدرجة الاولى ، أو أنه خبير بشئون المقامرة والسباق ، ولم يكن يتحرج اذا ما شاهد سيدة أثناء الادلاء بشهادة أو حديث أن يطلب من أحد معاونيه معرفة تلك السيدة ودعوتها لقضاء سهرة حمراء معه .

وفى ١٩٥٣/١٢/٣ كتب كل من جوزيف وستيوارت السوب يقولان ان مكارثى هو السياسى الأول فى البلاد التى يمكن تسميته فيها بالكاذب المخادع . دون أن يخاف من هذا التشهير . وكان مكارثى بحق كاذبا من الدرجة الاولى ... حتى أن الحقيقة كانت تختفى فى فمه وتخرج منه كذبا . كان بينـه وبين الصـدق ود مفقود . ولقـد اقترح أحد الـكتاب ويدعى توماس جريفز أن يكتب على قبره بعد موته تلك العبارة « لم تكن الحقيقة فضيلته» . والواقع أن الكذب كان صفة التصقت به منذ عام ١٩٣٩ عندما رشح نفسه لمنصب قضائى فى بلدته ويسكونسن وكان عمره وقتئذ لايتجاوز ٣١ عاما . على حين كان عمر منافسه ٦٦ عاما . ولقد تجنب مكارثى الصدق فاضاف الى عمر منافسه ٧ سنوات . واشاع بين الناس أنه يبلغ من العمر ٧٣ عاما ، وسرعان ما ادعى أنها ٩٨ عاما .

وفي ذات مرة عندما كان يلقى خطابا سياسيا له ذكر فيه . أنه يمسك بيده قائمة تضمنت اسماء ٢٠٥ من الشيوعيين يعملون فى وزارة الخارجية الامريكية على حين لم تكن تلك الورقة سوى خطاب مرسل فى عام ١٩٤٧ من وزير الخارجية الامريكى جيمس بيرنز الى الاستاذ ادولف سبات محتوى على احصاءات خاصة ببعض شئون وزارة الخارجية ، بل لعل تلك الورقة لم تكن تتضمن سوى اسم المرسل والمرسل اليه . ولا تتصــل من قريب أو بعيد بالشيوعية والشيوعيين .

كان مكارثى جريئا صريحا ، ولو لم يكن كذلك لاستطاع أن يتجنب التنديد به من جانب مجلس الشيوخ . مما قضى على نفوذه فيه وقال عدد من الاشخاص الذين اشتركوا فى الدفاع عنــه أنه كان بالامكان الحيلولة دون توجيه اللوم اليه بايجاد حل وسط . وماكان هذا يكلف سوى خطاب اعتذار من قبــل مكارثى لبعض الذين وصفهم بعملاء الشيوعية ووعد بأن يسلك سلوكا حسنا فى المستقبل .

ولو وافق مكارثى على ذلك لطلب البيت الابيض سحب قرار اللوم ضده ، فقد عارض القرار نصف الجمهوريين فى النهاية وكان من الممكن اعفاء الكثيرين ممن ايدوا القرار من هذا الواجب البغيض .

وقد وضع نصوص الحل الوسط محامى مكارثى ادوارد بينت ويليامس ووافقت زعامة الجمهوريين فى مجلس الشيوخ عليها، وعلم أن الديموقراطيين ما كانوا يريدون الموافقة على قرار اللوم بدون تأييــد قوى من الجمهوريين ولكن مكارثى لم يؤيد فكرة التسوية والحل الوسط مع أنه كان باستطاعته تقديم الاعتذار بمثل السهوله التى يوجه بها الاهانة .

وقــد اعترف مكارثى بامكانيــة ارتكاب الخطأ وقد ذكر مكارثى أمام لجنة واتكنز : لقد قيل أننى سبب الانشقاق وتمزيق الصف فى البــلاد . وفى الحزب الذى انتمى اليه ، هنالك انشقاق ويحتمــل أن يكون النشاط جزءا من سببه . ولكنه رفض قبول الحل الوسط لانه سيسىء الى اثنين من كبار أنصاره فى المجلس وهما : وليام جينز من انديانا وهرمان ويلكر من ايداهو . وقد عمل الاثنان ليل نهار ليس لتجنب اللوم وانما للحصول على تأييد لمكارثى .

وقال ويلكر مرة عن مكارثى . ان هــذا البحار الايرلنــدى المحارب يعطى قميصه لــكل من هو بحاجة اليه باستثناء كل من هــو شيوعى قذر كاذب . ولم يكن مكارثى يميل الى قتل الشيوعيين . وحدث ذات مرة أن علم مكارثى بأن أحد ضحاياه ينزف من الجراح التى لحقته بسببه وانه معوز لا يملك شروى نقير فما كان منــه الا أن بحث عن هذا الشخص حتى عثر عليه وأخبره بأنه سيساعده على متاعبه المالية ، وقد رفض الرجل معتقــدا أن مكارثى يعتزم نزع كرامته منه والقضاء على سمعته الطيبة ولكن مكارثى ما كان يريد شيئا من هذا .

وقد تحدث جيمس ويتشسلر محرر صحيفة النيويورك بوست عن انطباعاته عن مكارثى بعد ان قضى فى شهادته أمام اللجنة الفرعية الدائمة عدة أيام فقال : انه قد لمس فى مكارثى عنصر الضجر وخيبة الأمل .

لقد شعرت أن مكارثى انما يريدنى أن أفهم وجهة نظره فقط ولقد نظر العالم الى مكارثى نظرة جدية • وهذا ما لم يفعله هو بنفسه • لقد تزعم حركة متطرفة وأعطى اسمه لمبدأ متطرف ، ولكنه لم يكن متطرفا فى قرارة نفسه • ومن المعتقد أنه بدأ فى أواخر أيامه يدرك ماذا قال ويتصور نفسه قد تعرض لاضطهاد اعدائه وفى ابان شهادة مكارثى فيما يتعلق بالجيش حدث أن أصيب السناتور مكارثى بنوبات أشبه بالهستيريا• وكان باستطاعة مكارثى التحكم فى أعصابه وفى عواطفه مهما كانت حالته والموقف الذى يقفه •

ولقد كان مكارثى يحن أبدا للحقد والكراهية والعناد ، النف حوله الحاقدون • وبكلمة منه كان حقدهم يذهب أدراج الرياح ، كما أنه بكلمة أخرى كان يشتد حقدهم حتى يصبح سما زعافا • ولقد كان هذا الحاقد الخطير الذى لم نشهد مثله فى تاريخنا ، بعيدا عن الحقد الحقيقى والعداء الصحيح ، فلم تكن لديه القدرة على ذلك بل انه كان يلفق الأمر كله ولا يستطيع فهم أى شخص لا يحذو حذوه •

وعندما توجه نحو دين اتشيسون فى مجلس الشيوخ يود أن يصافحه فى المصعد رأى أن رد اتشيسون على تحيته كان غير ودى • وفى أثناء شهادته فى تحقيقات الجيش هبط مكارثى الى ما وصفه ردى كوهن بانه منتهى الانحطاط الادبى والخلقى عندما حاول أن يواجه هجوما قويا من جوزيف ويلتش بهجوم مضاد ، وجهه الى أحد زملاء ويلتش ، وكان هذا الزميل لا علاقة له بهذه القضية من قريب أو بعيد وقد انحاز الجميع الى صف ويلتش عندما خاطب مكارثى بقوله :

« حتى هذه اللحظة أيها السناتور ، اعتقد أننى لم أعمد الى قياس قسوتك وتهورك • ولو كان من سلطتى العفو عنك لقسوتك المتهورة لفعلت• يهمنى أن تعتقد بأننى انسان نبيل ولكن العفو عنك سيأتى من قبل شخص سواى » •

وعندما عثر مكارثى فى النهاية على من يحدثه رفع يديه قائلا : ماذا فعلت ؟ لقد كان يعلم ماذا قال ، ولكنى أعتقد أنه لم يكن يعلم ماذا فعل• وكان مكارثى يعتقد أن هناك خلافا شاسعا بين الكلمات ومعناها • ولعل هذا القول هو خير ما ينطبق عليه عند ذكره للحقيقة والصدق •

يحكى أنه ، بينما كان مكارثى مدعوا فى حفله فى واشنطن قابل زميلا له من قبل وشى به كمناصر للشيوعية • ولكنه ما أن رآه حتى سارع اليه مصافحا • وأخذ فى السؤال عنه ناسيا ما نسبه اليه من قبل قائلا لقد كانت زوجتى تحدثنى عنك الليلة البارحة فلماذا لم نرك منذ وقت طويل • ترى هل تتجنبنا بحق السماء • وكان الرجل يحملق اليه أثناء كلامه هذا بذهول واستغراب •

ويبدو أن مكارثى كان على علم بالعلاقات الانسانية فقد كان يعرف مخاوف الناس ، وبواعث قلقهم . ولكنه كان لايعيرها أى اهتمام ويجب ألا يفوتنا أن نذكر تلك الواقعة الشهيرة عندما قيل لأحد الصحفيين الانجليز وهو فى مكتبه بلندن أن مكارثى رجل وحشى بل هو حيوان كبير• وسرعان

ما غادر الصحفى لندن الى الولايات المتحدة مقررا بينه وبين نفسه ضرورة الاتصال بمكارثى شخصيا وبوصوله تمكن من تحديد موعد لمقابلته ودار بينهما الحديث الآتى :

مكارثى ـ ماذا عندك ٠ يدعى البعض بأنك صحفى خطير ٠٠ هل لك فى الشراب معى ؟

الصحفى ـ سناتور مكارثى ٠ يهمنى أولا أن تعرف أننى احتقرك واحتقر كل ما تعمل ٠ وكل ما تمثله أنت بشخصك ٠ ويجب أن تعرف رأيى فيك وهو أنك باختصار تمثل أكبر قوة للشر فى العالم الآن ٠

مكارثى ـ لاداعى للتفكه . الك فى الشراب معى ؟ لدى البوربون الشهير ؟

الصحفى ـ لقد أخبرتك يا سناتور بأننى أحتقرك واكرهك ٠ وقد حضرت الى هنا لكى أفضح شخصك للجميع ٠ فلا تحاول أن تكون طيبا متلطفا معى ٠

مكارثى ـ سنتكلم فيما بعد ٠ فهل لك الآن رغبة فى الشراب معى٠

الصحفى ـ سأبدأ الكلام الآن٠٠ وأريد فى الوقت نفسه أن احذرك بأنك لن تنال منى شيئا ٠ فقد راقبت جميع حركاتك وسكناتك من سنوات عدة ٠

مكارثى ـ بحق المسيح هل ستشرب معى ؟

الصحفى ـ سأشرب اذن ٠٠٠ على شرط أن تعرف أن هذا الشراب لا يعنى شيئا ٠ ولن أسحب كلمة من كل ما قلته عنك ٠ اتسمح لى بكاس من الويسكى ؟

مكارثى ـ حسنا . وهل تريد ثلجا ؟

وهكذا ظلت المحادثة بينهما ، وكان الصحفى لا يفتأ يردد دائما رايه فيه وخرج الاثنان بعد مدة للذهاب الى طبيب أسنان مكارثى معا وعادا ثانية ليكملا حديثهما فى بيت مكارثى حتى الصباح ٠ وعاد الصحفى وقد خفت حدة ثورته وخلت مقالاته من الهجوم العنيف عليه كما كان ينتظر البعض وتلك كانت سياسة مكارثى ٠ ولا أدل على ذلك مما ذكره عدو مكارثى اللدود جون هوننج : « اننى بالرغم من عدائى الشديد لمكارثى احب حجته وأرغب دائما فيها »٠ ويستمر جون هوننج فيقول أما بالنسبة لى فقد عرفته قبيل بزوغ نجمه كعلم من الاعلام . وازدادت معرفتى له بعد ذلك. ولم أكن أميل اليه كثيرا ولكنى كنت أحب الحديث معه . وفى عامى ١٩٥١ و ١٩٥٢ وجدت أنه من المستحيل ألا البى هذه الرغبة ٠ وانتهزت كل فرصة لاشاهده وهو يعمل ٠ ولكننى لم أكن احبذ صحبته ٠ ولم يكن باستطاعتى أن أسيطر على نفسى ، أو اشيح بوجهى عنه عندما يوجه الى تحية ويستمر فى القول : وأسلوب مكارثى على حسب ما أعتقد شديد الشبه بفئة من الرياضيين الامريكيين الذين يكسبون ويمرحون ٠ والذين يعلقون اهمية كبيرة على الكسب بأيسر السبل دون جهد أو عناء كبيرين٠

وفى عام ١٩٥١ غير مكارثى توقيعه من جوزيف مكارثى الى جو مكارثى ، وهو اسم مدير سابق لاحدى مؤسسات نيويورك . وكان يجب أن يشاع عنه كسياسى انه يستخدم كل شىء فى سبيل أغراضه وأعتقد انه لم يكن يدرك انه لا مكان لمثل هؤلاء الناس فى عالمنا الاخلاقى .

وقد حدث أن وجه السناتور جون بريكر وهو من المحافظين فى ولاية أوهايو كلمة للسناتور مكارثى فى مجلس الشيوخ : « جوانت ولد قذر ومن نسب الكلاب » . وقد سر مكارثى من هذه الاهانة .

ولقد حاول كثير من علماء النفس والاجتماع تفهم حقيقة مكارثى هل هو وضيع ومتوحش ؟ هل كان يعشق تحطيم الغير والحط به ؟ هل هو رجل معدوم الضمير والاحساس ؟ هل كان فى كل جلبته وضجته هذه عديم الغاية والهدف ؟ هل كان فى حقيقته رجلا مقشوشا مرتبكا ؟ واخيرا هل كان ظاهرة نفسية فريدة جديرة بالبحث والتمحيص ؟

لقد عزا أحد العلماء النفسيين تلك التصرفات الى اصابة السناتور مكارثى بمرض حب العظمة والظهور ... ان الحياة عنده سلسلة متصلة من المؤامرات والمهاترات . وهى فى نظره موجهة لشخص مكارثى نفسه دون غيره . ذلك لانها كلها انما تنبعث من نفسه الدنيئة المنحطة . ويستمر الكاتب فى قوله . انه على خصوم مكارثى مواجهته والهجوم عليه باستمرار وبدون توقف اذا ما أرادوا التغلب عليه .

ويذكر عنه كاتب آخر وكان ذلك ابان عام ١٩٥٤ فيقول ان المفتاح الى فهم شخصية مكارثى هو معرفة شعوره بعدم الأمن والشك فى نفسه . بل احتقاره لها .. كما أنه لا يعترف بالقوة والشجاعة والعدالة الا اذا حققت اغراضه ، أما اذا عجزت عن تحقيق ذلك فانه يغفلها ويشوشها .

وعلى الرغم من أنه كان يتجاوز فى كثير من أعماله حدود العقل ، كان يتمتع بالفطنة والذكاء وكانت له بالاضافة الى ذلك القدرة على حماية نفسه من سيطرة عواطفه وأهوائه . ولكنه كان اذا ما خانته فطنته وذكاؤه ادعى المرض . وتلك هى فرصته الوحيدة التى يتمكن بوساطتها من الهرب . وكان الارهاق هو عدوه اللدود .

كان الكثيرون على يقين بأن مكارثى مصاب بالشذوذ الجنسى وكان الدليل على ذلك واضحا . فقد عثر على أحد أفراد حاشية مكارثى وهو فى وضع شاذ فى لافاييت بارك . وروى بعضهم قصة عن واقعة جنسية شاذة مع مكارثى ، فى اجتماع سياسى فى ولاية ويسكنسن قبل مجىء مكارثى لواشنطن بعدة سنوات .

وهناك بالاضافة الى ذلك موقف مكارثى من النساء فى الحفلات ، وقد تمكن بعض أعدائه من السعى للحصول على مزيد من الادلة فى هذه الناحية غير أن محاولاتهم باءت بالفشل .

وليس ثمة شك فى اهتمام مكارثى بنفسه الى حد بلغ الافراط والشاهد على ذلك ما حدث فى مجلس الشيوخ عندما القى خطابا على جانب كبير من الاهمية بالنسبة له واستمع اليه الجميع باهتمام ، وكانت لحظة

يجدر به أن يحلها محل الجد غير أن اهتمام مكارثى انصب فى هذه اللحظة على مظروف وصل الى مكتبه وفيه صورته وقد اقتطفت من احدى الصحف ووضعت داخل المظروف ·

وبينما كان مكارثى مشغولا انسل من مقعد الى آخر وهو يهمس فى اذن زميله ويخبره بالدليل الجديد على ما بلغ اليه من شهرة وصيت ·

وكان مكارثى شديد الحساسية · وكانت يداه ترتجفان دائما · وكانت الامراض المعدية تلازمه بلا انقطاع · روى أحد اصدقائه أن معدته كانت دائما ملتهبة · ولا يشك أحد ممن حاولوا رؤية مكارثى فى أنه كان شاذا · حتى أنه لم يكن يستطيع الاتصال بالحقائق التى كان بحاجة اليها كزعيم غوغائى ينادى بالهروب من الواقع · وبالنسبة لكثير منا ممن شاهدوا مكارثى فى واشنطن فانه برغم الشذوذ فى سلوكه كان رابط الجاش هادئا ·

وبالرغم مما كان يوجه لمكارثى من سهام وطعنات ، فانه ما انهار تماما ، مع أنه كان يدعى ذلك أحيانا · وكل ما فعله انما فعله للحصول على نتيجة اعدها مقدما وامتدحها ووصفها بانها سليمة وارى أنه مهما تبين من سلوكه ومهما كانت دوافع ذلك يمكننا أن نصف مكارثى بأنه منافق وخبيث بمعنى الكلمة ·

وهذا يجعله ينفرد بشخصيته · فان الرجال الذين يتميزون بالخبث الحقيقى انما هم قلة على حين أن المنافقين فى مجتمعنا على الاقل يتمسكون كثيرا بصدقهم · وأما بالنسبة للنفاق فان المرء لا يستطيع أن يمارسه بدون أن يعترف بالحقيقة داخل نفسه · واذا اراد الانسان ان يكون من الهراطقة أو المنافقين فعليه أن يرى شخصه كلما نظر الى المرآة · وتلك هى مقدرة الانسان فى خداع نفسه · اذ أن لكل مخطىء ولدته امرأة جبلة لاقناع نفسه بأن أعماله الحقيرة نافعة فى مجال من المجالات . وقد قال الدكتور جونسون ذات مرة : ان هنالك بعض الاخطاء فى هذا العالم لا تنطوى على حق فى ذاتها كما يعتقد مديروها · ويبدو لى أن قلة من الرجال يمكن وصفهم بالهرطقة والنفاق حتى عندما لا يكون واضحا أمام الجميع أن أعمالهم تتنافى مع ما يدعون اليه ·

وفيما يتعلق بالمؤمنين بالمكارثية فانه من السهل أن نرى تبريرا لهذا : ذلك أن جميع المنظمات الوطنية ترى أن تدمير الشيوعية أمر مقدس أو مهمة سامية · وان مكارثى يفعل شيئا فى هذا السبيل · ويرى روبرت تافت والجمهوريون الذين أيدوا مكارثى فى الكونجرس بأن البلاد فى حاجة الى زعماء جدد ، وان مكارثى يفعل شيئا فى هذا السبيل . وكان كل شىء فى نظر مكارثى مباحا · واننى على يقين بأن مكارثى ما كان يعتقد بأن الحكومة تمالىء الشيوعيين ، ولو كان يعتقد ذلك لاهتم به · ولما ترك التحقيقات لمجرد انها فشلت فى تحقيق ما أراده وما توقعه · لقد كان مكارثى مغامرا سياسيا نقب فى أعماق الشيوعية فوصل لأعماقها وأماط الاثام عنها .

ولابد أن يكون مكارثى قد رأى فى المرآه سرابا وخداعا ولا يمكن القول ، مع التأكيد ، بأنه لم يدفع ثمنا لفساد الروح · فقد احترف الكذب

بمهارة . ولكن مشكلة الحقيقة والكذب كانت تقض مضجعه كما كانت تشغله مشكلة الكياسة لانه كان شريرا • ولم يكن هنالك من هو أسرع من مكارثى فى استخدام صفة الكذب وتوجيهها للآخرين • فقد وصف بهـا الناشر هنرى لوس بالاضافة الى وصفه بالحقارة ، وكان يستطيع الكذب بسهولة نادرة بل كان يمارسه دون مشقة •

واذا نحينا الخوف جانبا فان خيال مكارثى كان مليئا باختـــلاق اخلاق يتصف بها هو ، فقد قال ذات مرة ان القذارة والعار والانحطاط تتجلى فى خصومه سنة ١٩٥٢ • وكان مكارثى يتلاعب بكلامه وخاصة فى احاديثه التليفونية • كما كان يطالب الآخرين بأشياء كثيرة وكانت لهجته تتسم بالكياسة والظرف •

الفصل الثالث

الأيام الأولى

دأب مكارثى فى خطبه ومقالاته وشهادته على التحدث عن نفسه وعن معنى حياته . كان يجد فى نفسه موضوعا مثيرا للاهتمام وقد بدأ كتابه عن المكارثية (الكفاح من أجل أمريكا) بما اسماه بخواطره عن حضور أول جلسة للجنة تيدنجز . وكان ذلك بعد شهر من خطبته فى هوتنج يقول : عندما دق الجرس فى مكتبى ظننت أنه لم يمض أكثر من عشر دقائق منذ أن تحدثت ، على حين كنت جالسا على الاريكة طيلة ليل حافل بالعمل ، اذ كنت قد حضرت لادلى بشهادتى أمام اللجنة وكنت أبحث فى حافظتى لاتثبت من وجود الوثائق والمستندات فيها لان الوثائق كفيلة بأن تنير الاوضاع وتثير الرأى العام كله وان تحتل صدر الصحف والمجلات .

هكذا كانت حياة مكارثى .. كان كل ما يهم مكارثى هو الصفحات الاولى من الجرائد والمجلات وكان ينظر الى الحرب الكورية على أنها مؤامرة للاستيلاء على تلك الصفحات .. وفى كل كتاباته وبياناته لم يشر مرة الى طفولته ومطلع شبابه . وكل ما أذكره بهذا الشأن كلمة المكارثية اذ قال : (لقد عرفت المحيط الباسفيكى وشاطىء آسيا تماما كما عرفت مزرعة أبى عندما كنت صبيا ألهو وألعب) والقاعدة فى هذا الامر هى ان السياسى الامريكى الذى يريد أن يحيط نفسه بهالة ضخمة كان عليه أن يذكر الكثير عن طفولته وحياته . وأى مؤرخ حديث قد يستخلص من هذا أن طفولته كانت سيئة للغاية تثير فى نفسه الذكريات الاليمة . ولذا كان يتجنب الخوض فيها . وهكذا فاننا لا نكاد نعرف شيئا عن حياة مكارثى قبل الحرب العالمية الثانية .

وعندما اختطف مكارثى الموت فى ١٩٥٧/٥/٢ قيل انه مات عن ٤٧ عاما ذلك أنه ولد فى ١٩٠٨/١١/١٤ .

كان مكارثى الابن الخامس لابوين يقومان بزراعة ١٤٢ فدانا فى ولاية أوتاوا شرقى ويسكونسن على الشاطىء الشمالى لبحيرة وينيباجو وكان هذان الأبوان قد أنجبا تسعة أولاد . ولقد كانت المزرعة المذكورة فى وسط منطقة تعرف محليا بمقر الايرلنديين . وكان أبوه تيموثى مكارثى خليطا من أصل ايرلندى وألمانى، على حين كانت أمه بريجيت تيرنى ايرلندية صميمة . وكان أبواه يتبعان الكنيسة الكاثوليكية الرومانية ويشاع أنهما كانا متدينين للغاية وكانا أميين لايجيدان القراءة ولا الكتابة .

ويذكر البعض أن مكارثى كان خجولا فى طفولته وانه كان لايحب أن ينطق باسمه فى المدرسة . ولعل السبب فى ذلك هو انه كان اقرب اخوته التسعة لقلب ابيه . وفى هذا يقول اريك ف. جولدمان : كان جومكارثى طفلا من تسعة ولدوا لعائلة مكارثى وكان دون اخوته قبيح المنظر ، قصير الذراعين ذا حواجب كثيفة سميكة وشفتين غليظتين . ولعل هذا هو السبب فى تغالى أمه فى العطف والاشفاق عليه . وكثيرا ما كانت تكرر قولها له : دعهم وشأنهم فسوف يكون لك شأن فيما بعد .

وهكذا أمضى الصبى صباه فى طريق ملىء بالطموح والآمال بدلا من الخجل والتردد . قد يكون كلام جولد مان صحيحا ولكن هذا يجعلنا نتساءل لماذا أصبح مكارثى سناتورا دون ملايين الصبية الذين كانوا يلجأون لاحضان أمهاتهم فى مثل سنه ؟

ولا توجد لدينا أية أدلة تبين أن مثل هذا الطفل سيصبح ذا شخصية فى المستقبل ، ولقد حاول كل من المؤرخين جاك أندرسون ورونالد وماى فى كتابهم : مكارثى الرجل السناتور صاحب المبدأ – أن يذكروا (كان مكارثى طفلا مدللا لم يتحمل اعباء العمل فى مزرعة أبويه كما تحملها اخوته . ولعل هذا وغيره يؤدى بنا الى ضرورة البحث والتنقيب عن السر الحقيقى فى وصول مكارثى لمثل هذا المركز وهذه السطوة والسلطان .

لقد التحق مكارثى بمدرسة (تدرهيل) ، وسار فى دراسته سيرا حسنا الا أنه كان ضعيفا فى الخطابة والتعبير . وعندما بلغ الرابعة عشرة أنهى تعليمه الابتدائى وأصبح مزارعا . وفى هذا الوقت تمكن من شراء ٥٠ دجاجة من بعض النقود التى جمعها ولم تمض فترة حتى اقتنى ١٠٫٠٠٠ دجاجة وبيتا لهذا الدجاج وعربة لنقلها الى شيكاغو .

وعندما بلغ التاسعة عشرة اصيب بالتهاب رئوى بسبب قضائه وقتا طويلا فى المراعى الرطبة أثناء الجو الطيب والسيىء معا مما اضطره لتأجير بعض الصبية لرعاية الدجاج .

ولكن هؤلاء الصبية اهملوا رعاية الدجاج فانتشر فيه المرض ووجد مكارثى نفسه أمام أحد أمرين :

أما ان يبدأ من جديد أو أن يترك هذا العمل . ولقد فضل أن يتركه هجر مكارثى بعد ذلك مدينه جراند شوت الى ماناوا وهى مدينة يبلغ عدد سكانها حوالى ٥٫٠٠٠ نسمة حيث عمل كمدير لمخزن بقالة . وقد نجح مكارثى فى عمله الجديد واحبه الناس فى تلك البلدة . وقد حاول البعض اقناعه بمواصلة تعليمه حتى يرتقى فى عمله ولا يصبح مجرد مدير مخزن للبقالة . وقبل أن يتم عامه العشرين بشهرين التحق بمدرسة ليتل وولف واتم دراسة برنامج أربعة أعوام فى عام واحد . وكان لتصميمه وعزمه أكبر الأثر فى كبير المدرسين الذى انفق وقتا طويلا فى التدريس له . وقد قال عنه عندما احتفل به عند التخرج : لم تخرج مدرستنا تلميذا يستحق التخرج أكثر من مكارثى . ثم التحق بجامعة ماركت (وهى معهد تابع لجماعة الجيزويت بناحية ميلووكى لدراسة الهندسة ولكنه تركها بعد عامين ليدرس القانون . وكان يعول نفسه طيلة تلك الفترة ، فكان يدفع

مصاريف دراسته من عمله الذي يقوم به كغسيل الصحون وخبز الفطير في أحد الفنادق ، أو كملاحظ في احدى محطات الوقود • وكان تقديره عند تخرجه مشرفا فكان رئيس فرقته كما كان في الوقت نفسه ملاكما بارزا في فريق الملاكمة •

وبعد تخرجه افتتح لنفسه مكتبا للمحاماة في بلدة (ووباكا) وشاركه في المكتب طبيب أسنان • ولم يقم طيلة الأشهر التسعة التي قضاها في هذه البلدة الا بأربع قضايا • وحقق مكسبا قدره ٧٧٧ دولار عام ١٩٣٥ • ولقد استفاد مكارثي في ذلك الوقت من لعب البوكر ثم عمل بعد ذلك مع محام يدعى ميشيل ايرلين بمرتب قدره ٥٠ دولارا أسبوعيا وكان ذلك في بلد (شاوانو) شمالي (أوتاجامي) . وكان ايرلين جمهوريا بينما كان مكارثي ديموقراطيا بالوراثة • وأصبح مكارثي رئيسا لنوادي الشباب الديموقراطي ورشح نفسه كمدير عام للضاحية ولكنه لم ينجح في الانتخابات وعندئذ عاد للعمل مع ايرلين بعد أن أصبح اسم المكتب (مكتب ايرلين ومكارثي) • وظل يعمل لمدة ثلاث سنوات في هذا المكتب •

ولم يتطرق أحد من المؤرخين الى هذه الفترة التي تبدأ بمكارثي — كأي محام ناشيء في احدى المناطق يهتم اهتماما كافيا بالسياسة الى حد توليه رياسة أحد الاندية ، من أجل الشهرة ولمصلحة الحزب ، وخوض معركة للفوز بمنصب يعلم سلفا انه لن يفوز به • وفي سنة ١٩٣٩ خاض مكارثي حملة انتخابية للحزب الجمهوري متمسكا بنفس المبادىء التي نادى بها فيما بعد •

وقد يظن البعض أن هذه السنوات كانت واضحة المعالم خاصة اذا كانت لدى مكارثي أية أحلام عن مستقبل حافل باثارة الفتن والقلاقل والفوضى ، ولم تكن مواهبه كمحام خارقة للعادة • ومن الخطأ افتراض ان مكارثي كان راضيا عن عمله كمحام في الريف • وكما تعلم فان القانون يقرب المرء من السياسة • ولكن مكارثي عندما كان في العقد الثاني من حياته في شوانو لم يكن يعتقد أن مستقبله سيكون مشرقا • وما كان يتوقعه ويأمله كرئيس لدائرة الديموقراطيين الشباب في ولاية ويسكونش هو أن يصبح مع الوقت عضوا في مجلس النواب في يوم من الايام • واما بالنسبة لمجلس الشيوخ أو رياسة المدينة فكان هناك ٧١ مقاطعة في ولاية ويسكونش ويتنافس على كل مقعد عدد من أمثال مكارثي •

وقد برز مكارثي في هذه الفترة كعضو في الحزب الجمهوري ولكن ارتداده — اذا كانت هذه هي الكلمة المناسبة — فلا نعلم عنه شيئا وقال مكارثي • انه من حسن الطالع أن تكون جمهوريا باسم ديموقراطي • وقد علم أن مشيل ايرلين أراد دخول معركة للانتخابات كقاض وهو المنصب الذي فاز به مكارثي • وقد شعر بشعور من الخيانة عندما أراد أن يعلن ترشيحه ولكن مكارثي سبقه • ولكن عندما بدأ الاهتمام يزداد حول ماضي مكارثي في الريف كانت هذه الايام قد أصبحت في طي النسيان لان الماضي لايعود ولان الحقيقة اختفت وتلاشت مع الزمن •

كان مكارثي عملاقا في سياسة ويسكونش وشخصية مرموقة بارزة استطاعت أن تفرض نفسها على البلاد • ولم يكن هنالك سوى قلة من الناس

يتحدثون عنه بحرية • أما مشيل ايرلين فلم يكن يستطيع أن يتحدث لانه كان مقيدا بمنصب القضاء الذى فاز به مكارثى عام ١٩٣٩ حتى سنة ١٩٤٦ عند انتخابه لمجلس الشيوخ وقد حصل ايرلين على منصب القاضى بتأييد من مكارثى •

ALEXANDRINA

ومن المؤكد أن مكارثى لم يكن قد بلغ الثلاثين من عمره عندما رشح نفسه لمنصب القضاء على حين نجد آنه اضاف عدة أعوام لعمر منافسه وتلك طبيعته فى تزوير الحقائق • ولكنه بالرغم من ذلك سقط فى الانتخابات ولما أعيدت الانتخابات ثانية تمكن من احراز الفوز وشغل ذلك المنصب ، وكان قد تمكن خلال فترة الاعاده من اقناع الناخبين بأنه أكثر ملاءمة لهذا المركز من منافسه العجوز • ولكن البعض ادعوا بعد ذلك بأن مكارثى لم يتمكن من الفوز الا بالغش والتزوير •

وفى هذه الفترة من حياته وقعت بعض الاحداث التى كشفت عن حقيقة خلقه • فقد طلبت منه وزارة الزراعة بصفته القضائية أن يصدر بيانا يحذر فيه احدى الشركات من التلاعب بقانون الاسواق ، وفعلا أصدر مكارثى الانذار ، ولكنه سرعان ماسحبه بعد ثلاثة أيام لاسباب لم يوردها فى تقريره • وعندما مثلت القضية أمامه رفض شكوى الوزارة متعللا بأن القانون الذى تستند اليه الوزارة سيلغى خلال ستة أشهر وعندما وصل تقرير القضيه الى المحكمة العليا • أمرت باعادة القضية ثانية وتبين فيما بعد أن مكارثى أمر كاتب المحكمة بحذف بعض الفقرات من البيان الذى أدلى به عند رفضه الشكوى • ولا يعرف مضمون الفقرات المحذوفه • وقد سئل مكارثى عن سبب حذفها فقال (انها لم تكن مادية ملموسة • وقد فزعت المحكمة من هذ العملية وأصدرت عدة وثائق عن مكارثى وقالت المحكمة فى احدى وثائقها : (اننا لا نعرف أية سلطة تبرز للمحكمة وقف سير القانون • يجب أن يستنتج بأن الأساس الذى تصرفت المحكمة عليه ليس سببا كافيا أو قانونيا ، وأن هذا العمل استهتار بالسلطة القضائية . ان على القاضى أو المسئول فى القضاء تنفيذ القانون دون احترام للاشخاص مادام القانون ساريا • وان أى مسلك آخر يعتبر تعديا على اجراءات السلطة القضائية وتدخلا فى أعمال الهيئات الرسمية ، وينجم عن ذلك استفادة الخارجين على القانون وان الامر بحذف هذه السجلات أمر غير لائق على الاطلاق وما كان ينبغى أن يحدث) •

ولعل أفضل ما قام به مكارثى خلال توليه لمنصبه هذا هو انجازه لعدد كبير من القضايا المتأخرة فكثيرا ماظلت الجلسة منعقدة برياسته حتى منتصف الليل •

ومن أطرف القضايا التى نظرها ذات مرة قضية طلب طلاق كانت على الوجه التالى :

مكارثى ــ هل انت محامى المدعى ؟

المحامى ــ نعم •

مكارثى ــ هل أنت محامى المدعى عليه ؟

المحامى ــ نعم •

مكارثى ـ هل هذه الاتفاقيات صحيحة ؟.

المحامى ـ نعم .

مكارثى ـ هل هنالك ما تريد قوله (قبل أن نستمر فى نظر الدعوى) ؟.

المحامى ـ لا .

وأصدر مكارثى حكمه فى مدة دقيقتين ـ حتى أن الشاكية نظرت فى دهشة حينما قيل لها انها تستطيع مغادرة قاعة المحكمة وقالت . هل طلقت ؟. وكان رد القاضى مكارثى عليها . نعم . وكان لهذه القضية دوى كبير فى جميع الاوساط وخاصة ان أحكام الطلاق كانت قليلة ومحدودة في ولاية ويسكونش هذه ، وكانت ولاية ويسكونش مشهورة بحسن السمعة وقد وضعت نظاما لمحاولة اصلاح الاحوال الاجتماعيه وكان بكل محكمة مستشار خاص بشئون الطلاق ، يقوم بالتوسط بين الازواج عندماتعرض على المحكمة قضية من قضايا الطلاق .

وقد حصل مكارثى على هذا المنصب لمدير حملته الانتخابية المدعو اربان . ب . فانسوسترن . وكان محاميا ويملكأحد (التاكسيات) وقد تبين للقاضى أنه يستطيع انجاز الكثير اذا استغنى عن سوسترن . ومع الزمن فاز مكارثى بشهرة أنه قاض سريع البت فى القضايا التى تعرض عليه ، وقلما يجد عقبات فى القوانين اذا كان الامر يتعلق بأصدقائه أو أنصار سياسيين .

وقد اشتركت صحيفة (ميلووكى جورنال) مع المحكمة العليا فى حملتها على مكارتى وعلقت الصحيفة على اجراءات الطلاق فى دائرة مكارثى بقولها :

(ان القاضى مكارثى يتحرق طموحا للحصول على مكانة سياسيه كذلك يتجاهل الامور الخلقية والتقليدية ويسىء كثيرا الى الجهاز القضائى فىهذه الولاية) .

وكان مكارثى فى الثالثة والثلاثين عندما دخلت الولايه المتحدة الامريكية الحرب العالميةالثانية وقد أعفى مكارثى منالاشتراك فيها لصفتهالقضائية. ولكنه أرسل خطابا لرئيس السلاح البحرى فى ١٩٤٢/٦/٢ يطلب منه فيه قبول تطوعه وأصبح برتبة ليفتننانت فى القوات البحرية الامريكية فى ١٩٤٢/٦/٤ وأرسل لقاعدة كوانتيكا بولاية فرجينيا ولم يترك مكارثى القضاء ، وانما عهد لمساعديه القيام به لحين عودته من الحرب واعتقد كبير القضاة أن هذا الطلب غريب وشاذ وغير معقول وذكر القاضى أرنولد فى مورجى : اننى على يقين من أن القضاة الآخرين يبذلون ما بوسعهم وأنا آمد لهم يد المساعدة ، وان غيابكم عنالقضاء سيعوقه سير الاجراءات والاعمال القانونية فى محاكم الولاية لحد كبير . ولكن هذا لم يثن مكارثى عن عـــزمه .

وقد ذهب مكارثى للمحكمة وهو يرتدى زيه البحرى ذات مرة وقد أثار هذا فضول المصورين لان ذلك الامر لم يسبق له مثيل . ذلك أن القاضى

يجب عليه ارتداء زيه الرسمى . ثم عاد مكارثى بعد ذلك الى قاعدة كوانتيكو البحرية واستمر فى عمله بالبحرية حتى ديسمبر سنة ١٩٤٤ وقد عمل طوال عمله بالبحرية كضابط للمخابرات فى منطقة جنوبى الباسفيكى مع سرب القتال ٢٣٥ .

وقد قام بعمله هذا خير قيام كما اشتهر بالشجاعة وروح المغامرة والفداء وقد جرح عدة مرات أثناء الحرب ولكنه لم يصب بأذى أو مكروه وكان عمله خلال خدمته الجلوس الى احد المكاتب ومقابلة الطيارين لدى عودتهم من مهامهم ، وان كان قد ادعى أنه كان بالمدفعية وعرف باسم جو . وهذا مجرد ادعاء لا أساس له من الصحة .

وعندما رشح نفسه كعضو فى مجلس الشيوخ سنة ١٩٤٤ أعلن انه قد انتدب فى أربع عشرة مهمه رسميه حربية اثناء الحرب زادها الى ١٧ مهمة فى انتخابات ١٩٤٨ ثم الى ٣٠ مهمة عام ١٩٥١ وقد منح وسام صليب الطيران الممتاز الذى يعطى لمن قام بـ ٢٥ مهمه رسمية وقد فضحت جريدة الايفنج ستار فى عددها الصادر فى ١٩٥١/١١/١٤ هذه الادعاءات . وكشفت عن كذبها وزيفها . وانه لم ينتدب فى أية مهمة رسمية .

وكان مكارثى يتحدث عن الفترة التى قضاها فى جزر الباسفيك فى خطبه السياسية ويذرف الدموع الغزيرة ويتحدث عن الغارات الجوية ويصف القتال الذى دار هناك .

وقد طلب مكارثى من أحد القساوسة بالجهة ذات مرة أن يبحث له عن شىء يواسيه فاخبره القسيس بأن يكتب ما يلى : لقد عقدنا العزم انه عندما تنتهى الحرب سيقوم عالم افضل واجمل مما هو الآن .

وفى سنه ١٩٤٤ كان مكارثى فى وضع تراوده فيه آمال كبار ، فقد مضى عليه فى البحرية عامان ، وفى القضاء عامان وفى خلال تلك الفترة اخذ يزود صحف ويسكونش بصور عديدة للقاضى المحارب وهو جالس وراء المدفع أو راكب احدى قاذفات القنابل ، وقد بدت على وجهه علامات وانعكاسات المعركة .

وكان مكارثى قد أصبح على شىء من الغنى والثروة فكان دخله منذ سنة ١٩٣٥ الى حين تطوعه فى الخدمة العسكرية يبلغ ٢٤ر٨٧٧ دولارا واستطاع أن يدخل سوق الاسهم والمضاربات بمبلغ ٥٠ر٠٠٠ دولار وفى عام ١٩٤٣ ربح ٤٢ر٣٥٣ دولارا . وكان مرتبه كقاض ٨ر٠٠٠ دولار أى ثلاثة اضعاف ما كان يكسبه من عمله بالمحاماة .

وهكذا وصل مكارثى خلال تلك الفترة الى مركز سياسى مرموق وثروة لابأس بها كما تكلمت عنه الجرائد والمجلات باعتباره أول قاض خدم فى القوات المسلحة وفى خلال تلك الفترة نفسها قرر مكارثى الانضمام للحزب الجمهورى وان يرشح نفسه عن ولايه ويسكونش . ولكن وقفت أمامه عقبتان :

أولا — ان القوانين العسكرية تحرم على العسكريين الاشتغال بالسياسة .

ثانيا — انه محرم على القضاة الاشتغال بأى عمل آخر ايا كان نوعه

خلال فترة عملهم بالقضاء كنص المادة السابعه من الفقرة العاشرة من دستور ولاية ويسكونش ٠

ولكن سرعان ما تغلب مكارثى على تلك الصعاب باهمالها وعدم الالتفات اليها واستمر فى دعايته الانتخابيه ٠ ولقى استجابة من الناخبين الذين كانوا يريدون رؤية المثقفين المتحمسين فى مناصب رفيعة ٠ وبالرغم من تفوق منافسه الكسندر وايل عليه فان ترتيبه كان الثانى فى الانتخابات ، وعندما رغب مكارثى فى الحصول على اجازة لمدة ثلاثة اشهر من القوات البحرية التى قبلت تطوعه من قبل للقيام بالدعايه الانتخابية، رفضت البحرية هذا الطلب لعدم انتهاء الحرب بعد ٠ وعندئذ قدم استقالته وتم قبولها فى فبراير سنة ١٩٤٥ ٠

وقد تم انتخاب مكارثى ثانيه كقاض عام ١٩٤٥ وفى عام ١٩٤٦ نجح فى انتخابات مجلس الشيوخ واصبح سناتورا واحتل المقعد الذى كان يتربع عليه روبرت م ٠ لافوليت لمدة عشرين عاما ٠

ان السخرية التى أصبحت ثقيلة فيما بعد رافقت الهزيمة التى أنزلها مكارثى بروبرت لافوليت الابن ٠ فقد كان لافوليت هذا أقل نشاطا وحركة من أبيه ٠ الا انه كان واعيا مدركا كما كان انسانا هادئا لطيفا يتمتع بذكاء خارق٠ وكان لافوليت على اختلاف كبير مع مكارثى فكان الاول رئيسا للجنة الحريات المدنية كما قام بعمل تحقيق عن الجاسوسيه فى الصناعة الامر الذى تجاهله مكارثى ، وقد بث مكارثى الفوضى فى مجلس الشيوخ ٠

أما لافوليت فقد نصب نفسه فى الاربعينات لرد النظام الى مجلس الشيوخ ٠ وقام لافوليت مع النائب أ ٠ س ٠ مايك مونروى من ولاية أوكلاهوما ــ وقد أصبح هذا سناتورا فيما بعد ــ باصلاحات فى كيان مجلس الشيوخ واجراءاته كان على الكونجرس اتباعها فى عهد مكارثى وقد ابتدع لافوليت لجنة للاشراف على أعمال الحكومة وهى التى كان يرأسها مكارثى فيما بعد ، وقد أصبح اسم هذه اللجنة بعد اصلاح ١٩٤٩ لجنة الاشراف على النفقات فى الدوائر التنفيذية ٠ وان جمهرة المراسلين وعلماء السياسة الذين اعتبروا مكارثى فى الخمسينات بأنه كان أسوأ عضو فى مجلس الشيوخ ، هم أولئك الذين كانوا فى الأربعينات قد اعتبروا لافوليت بأنه أفضل سناتور فى المجلس ٠

ومن الامور التى لايمكن تصديقها أن يهزم لافوليت من مثل غوغائى فى مجتمع قيل انه أرقى المجتمعات السياسية فى الديموقراطية الغربية ، وقد حدث هذا بالفعل مع أن سنائ ما يؤخذ على مجلس الشيوخ الامريكى وعلى دوره فى الحكم ٠ وفى التفكير الامريكى ٠ الامر الذى أدى الى حدوث مآس عدة من هذا النوع ٠

ان الكونجرس مجال واسع لذوى العقل والخيال فان المرء يدخله من مناطق صغيرة ٠ وما تمضى فترة طويلة حتى يجد نفسه يعالج مشكلات أمة بأسرها وعالم كبـــير مترامى الاطراف ٠ واذا تأثرت مصالح هؤلاء بغرضهم فانهم لن يختلفوا عن الساسة الاقليميين الذين ينبغى أن يكونوا مستقلين تماما عنهم ٠ وكلما زاد الوقت الذى يخصصه هؤلاء لبحث المشاكل

الوطنية والدولية وايجاد الحلول لها ، لم يجدوا الفرصة لبحث مشـاكل موطنهم الاصلى والاجتماع بابناء دوائرهم .

وهؤلاء مع الوقت يتجاهلون الجمهور . بل وفى بعض الاحيان يضيقون بهم ذرعا . ومع الزمن فان شخصا كمكارثى لابد وان يعود الى الناخبين ويخبرهم بأن السناتور الذى انتخبوه للمجلس تجاهلهم وضرب بمصالحهم عرض الحائط لانه انهمك فى الاضواء وشغلته العاصمة والعواصم الاخرى ، ويحدث اثر هذا أن يخسر السناتور مقعده لفقدانه الميزة التى أهلته لملئه هذا المقعد فيتبوأه بدلا منه آخر .

وهذا ماحدث بالنسبة للافوليت الابن فإن ظروفه السياسية كانت تختلف عن أقرانه . ففى عام ١٩٤٦ كان يسعى لأول مرة للحصول على ترشيح أحد الأحزاب الكبرى . وكان فى الماضى مرشحا للحزب التقدمى فى ولاية ويسكونش وهى منظمة كانت تقوم على ارتباطها بأسرة لافوليت وعن طريق الاسرة ترتبط بقوة الثورة البطولية . وقد انعكست الآية عام ١٩٤٦ فلم يكن من السهل الابقاء على الحزب فان لافوليت لم يدخل مجلس الولاية منذ سنة ١٩٣٨ ، اذ عمل ابان فترةالحرب مرافقاللجنرال دوجلاس ماك أرثر . ولم تكن الثورة أمرا مستحبا آنذاك . وجرى حل الحزب فى أوائل سنة ١٩٤٦ وعاد أعضاؤه الى الحزب الجمهورى بتـأثير من روبرت تافت ، وقد رأى البعض الانضمام الى الحزب الديموقراطى وبذلك كان لابد أن يسعى لافوليت للحصول على تأييـد الحزب الجمهورى له وترشيحه فى الولاية .

وفى الواقع لم يكن يسعد الجمهوريين أن يمثلهم عن ولاية ويسكونش شخص عرف بأنه داعية للحريات السياسية وتنظيم العمل والعمل على رفاهية الامة عن طريق مشروع الانعاش ، ولقد أعيد تنظيم الكونجرس ولم يكن لافوليت سياسـيا بارعا . ولولا أنه ورث اسم أبيه لدخل مجالا غير هذا ومع ذلك فانه دخل الكونجرس مرات عديدة بتأييد الجمهوريين .

وعندما كان لافوليت فى الكونجرس يعمل منأجل مشروعاعادةتنظيم هـــذا المجلس فان مكارثى الذى حمل لواء المعارضة للجمهوريين الموالين للافوليت راح يجوب الولاية من أقصاها الى أقصاها سائلا عن سبب بقاء لافوليت فى واشنطن تاركا أهله وعيشيرته . ووصف مكارثى قانون لافوليت بأنه وصمه عار . وقال ان واضع القانون لا يسعى الا لزيادة مرتبات أعضاء الكونجرس وكان هذا محض افتراء وأخذ مكارثى يكيل شتى الاتهامات للافوليت ووجه اليه الأسئلة عما فعله الجنود الامريكيين فى الحرب ، وما الفائدة من تعيين لافوليت رئيسا للجنة العمل .

واكتشف مكارثى أن للافوليتحصة فىاحدىمحطات راديوميلووكى وان نصيبه من الأرباح فى عامين كان ٤٧٫٣٣٩ دولارا . فراح يوجهالأسئلة يمينا وشمالا . كيف حصل لافوليت على هذه الاموال ؟ الا يوجد نظام يطبق على أرباح لافوليت ؟ ان هذا شىء يجب ازالته من واشنطن ليفسح المجال أمام دماء جديدة هناك . دماء محاربة اشتركت فى الميدان . وجاء فى أحد منشورات مكارثىالانتخابية . كان جدمكارثى منفرقة المدفعية فى الحرب العالمية الثانية . وعندما اندلعت نار الحرب . كان جو يعمل قاضيا

وقد أعفى من الخدمة العسكرية ولكنه استقال من عمله للتطوع كنفرللبحرية وقد حارب برا وجوا فى أنحاء الباسفيك . وقد قام جو مع الملايين الامريكيين لمنع اليابانيين من دخول أمريكا . واليوم عاد مكارثى لارض الوطن وهويريد أن يخدم أمريكا كعضو فى مجلس الشيوخ . نعم أيها المواطنون ان الكونجرس بحاجة الى رجال حرب وقتال . وفى الوقت الذى تعم فيه واشنطن الفوضى، ويسعى المستبدون الى فرض أنفسهم على المواطنين الى الأبد ، فان أمريكا فى حاجة الى محاربين .

ان الذين حاربوا فى البلاد الأجنبيـة لانقاذ أمريكا حصلوا على حق خدمة أمريكا فى زمن السلم . وفى الانتخابات الاوليه فى الحزب الجمهورى فاز مكارثى بأغلبية خمسة آلاف وأربعمائة صوت من مجموع الاصوات وقدره ٤١٠ ألف صوت . وقد فاز لافوليت فى المناطق الريفية وكان من المتوقع أن ينال أغلبية من الجمهوريين فى ميلووكى وفى المراكز الصناعية حيث كانت له مكانة قوية .

ولكنه خسر أصوات العمال . وقيل انه خسر لأن الشيوعيين أرادوا ازاحته من الطريق . وكان الشيوعيون يكرهون لافوليت لانه حر كأبيه وكان يرى أن الشيوعية هى استبداد وديكتاتورية وكان لافوليت على علم بتغلغل نفوذ جوزيف ستالين فى الحركة العمالية وخاصة فى ميلووكى حيث كان الشيوعيون يسيطرون على عمال السيارات الامريكيين وعلى جهاز مؤتمر المنظمات الصناعية .

وأعلنت صحيفة الديلى ووركر . ان الشعب لن يذرف دمعه واحدة على لافوليت ، وقال مكارثى عندما اتهم بتأييد الشيوعيين له : ان للشيوعيين كالآخرين الحق فى التصويت لمن يريدون . أليس كذلك ؟ ولكن الحقيقة التى يجب ألا نغفلها ان مكارثى مدين بفوزه لتأييد الشيوعيين وليس ثمة دليل على ذلك .

وقد فاز مكارثى فى الانتخابات العامة بعد ذلك بسهولة وكان خصمه هيوارد ماكمورى أديب من جامعة ويسكونش قد قضى فترة قصيرة فى مجلس النواب . وكان رجلا شريفا شجاعا . ذكيا . وقد فاز مكارثى عليه ب ٦٤٠ر٤٣٠ صوتا مقابل ٧٧٢ر٣٧٨ صوتا . وفى ٢٤ من فبراير سـنة ١٩٥٣ انتحر روبرت لافوليت فى واشنطن .

انصرمت ثلاث سنوات على تولى مكارثى مقعده فى المجلس دون أن يبدو عليه انه يطمع فى أكثر مما وصل اليه ، ولكن ما ان وطئت قدماه واشنطن لاول مرة بعد نجاحه فى الانتخابات حتى استطاع أن يجذب اليه الانظار وأن يحيط نفسه بهالة من الاهتمام .

حدث أن اختارته مجلة (لايف) كموضوع لمقال مصور (ريبورتاج) عن سناتور حديث العهد بهذا المنصب الحساس . ولقد سألته الجريدة فى معرض الحديث عن خواطره حال وصوله للعاصمة فأجابها بقوله : بعد أن وصلنا واشنطن بارحت القطار وتلفت للسماء وأنا أنظر يمنة ويسرة وقلت للسماء ... انها تمطر . وكان أول شىء فعله بعد ذلك هو عقد مؤتمر صحفى تحـدث فيه بصراحة وجرأة وقد وجه اليـه أحد الصحفيين سؤالا محرجا نصـه :

« مستر مكارثى ، ما الذى جعلك تظن ان سناتورا جديدا من الأهمية بمكان بحيث يعقد مؤتمرا صحفيا ؟ فهز مكارثى كتفيه باستخفاف وقال له : انه يريد التحدث فى موضوع اضراب عمال الفحم وقد وجدت حلا لهذا الاضراب هو أن يقوم الجيش بفصل العمال المضربين عن عملهم وهذا حل للمشكلة • وعندئذ سأله صحفى آخر : وماذا عن جون ل • لويس زعيم عمال المناجم • فأجاب مكارثى بقوله : يفصل هو الأخر • وقبل أن يفض الاجتماع قال للصحفيين عندما تريدون منى شيئا ما فلا تترددوا فى الاتصال بى ليلا او نهارا •

تعرف مكارثى من قبل برجل البيبسى كولا ــ عندما منحت الشركة كمية من السكر تزيد عن الحد المقرر لها كما تمكن فى نفس الوقت من تكوين صداقات وعلاقات قوية مع بعض رجال الصناعة الذين وجدوا الفرصة السانحة بعد انتهاء الحرب لبناء المساكن وخاصة الرخيصة منها ، وكان كل مايعوق هؤلاء الرجال هو انتشار راى داخل الكونجرس يقول بأن الدولة هى المسئولة عن ايجاد حل لأزمة المساكن بعد انتهاء الحرب وعندئذ قدم مكارثى اقتراحا للكونجرس هو وبعض زملائه بالاشتراك مع البنائين ، قدم اقتراحا بتكوين لجنة الكونجرس المشتركة للاسكان وبالفعل حصل على موافقة لمشروعه بعد أن لعب دورا كبيرا من أجل انجاح هذا المشروع بالرغم من أنه لم يكن رئيسا للجنة • بل انه تمكن من اسكات الاصوات التى دوت بين أرجاء الكونجرس ومنع تسرب تلك الأنباء للصحف •

ولقد قيل ان مكارثى حصل على ١٠,٠٠٠ دولار من مؤسسة لسترون وغيرها • وهكذا كانت تسير الأمور فتارة نجد أن مكارثى نصير للفلاحين وتارة نراه يطالب بالتحقيق عن الفساد باسم البحارة ومرة نجده يحمل بشدة على برامج المساعدات الاجنبية ومرات عديدة يحمل على الشيوعية وعلى الذين يعملون لحسابها •

ولقد قام ذات مرة بتقديم مشروع للمجلس يطلب فيه من اتحادات العمال أن تبلغ مديرى المؤسسات والمصانع وغيرها عن العمال والموظفين الشيوعيين تمهيدا لفصلهم الا أن السناتور تافت عارض هذا المشروع بشدة نظرا لما ينتجه مثل هذا المشروع من اضطراب فى أجهزة الدولة فلم يجد مكارثى بدا آنذاك من تأجيل هذا المشروع الى حين •

وربما كانت مطامع مكارثى بسيطة فى أوائل عهده بمجلس الشيوخ فكانت لا تعدو الحصول على اعتراف أو تقدير لمواهبه • وكانت مكانته حسنة وقدرته على الابتداع كاملة • وقد كتبت صحيفة نيويوركر عن مكارثى وحملاته على وزارة الخارجية فى رسالة من واشنطن وصفت احدى اقتراحاته بالكذبة الكبرى • وقالت ان الكذبة الكبرى لايلزم أن تكون أكذوبة واحدة بل يمكن أن تكون سلسلة من الاكاذيب أو أكذوبة ذات وجوه متعددة • وعلى كل فالجميع يتألف من عدة أجزاء بحيث أن كل من يحاول تسجيلها سيكتشف انه من المستحيل عليه حفظ جميع عناصر الأكذوبة فى وقت واحد • وعندما يحاول المرء ذلك فقد يستخلص بضع بيانات ويظهر مدى زيفها ، واذا ما فعل المرء ذلك فان معنى هذا أن هذه البيانات

أو الفقرات هي الكاذبه واما الباقى فصحيح . وميزة هذه النظـــرية أن البيانات الكاذبة يمكن ترديدها دون أى خوف لعدم وجود من يستطيع التمييز بين ما هو صحيح ، وما هو كاذب .

وقد كان هذا الاسلوب أحد ألاعيب مكارثى منذ ان كان يقوم بحملات انتخابية فى ويسكونش وقد استخدمه فى أول عهده بالكونجرس اذ حدث أثناء مناقشة عن توزيع السكر سنة ١٩٤٧ ان عدد مكارثى حقائق كما ذكر ارقاما كاذبة لا أساس لها .

وفى مايو سنة ١٩٤٩ كنت أزور واشنطن لاصف الجلسات التأسيسية لحلف شمالى الاطلنطى وحدث أن سمعت شهادة عن سوء معاملة رجال المخابرات الألمان للمواطنين الأمريكيين حتى لقد اتهم الألمان بذبح ١٥٠ جنديا أمريكيا ومائة مدنى بلجيكى منذ خمس سنوات .

وكنت فى غرفة مجاورة عندما سمعت مكارثى يشترك فى نزاع مع ريموند بلدوين السناتور الجمهورى الذى استقال بعد ذلك وكان النزاع يتسم بالغضب . وقال مكارثى أن الأمريكيين ارتكبوا أعمالا وحشية . وذكر أن لديه برهانا على أن بلدوين — لسبب ما — يريد حماية المتهمين . ونفى بلدوين ذلك . لكن مكارثى نهض قائما ووضع بعض الاوراق فى حقيبته وغادر المكان قائلا : انه لن يشترك فى مهزلة مشينة . وهى محاولة ماهرة متعمدة لتبرئة الجيش الامريكي وقال عنها فيما بعد : أن بلدوين مسئول عن ذلك ولما كنت أجهل فحوى هذا النزاع تعقبت مكارثى وسألته أن يخبرنى عن سبب ثورته فقال : ان هذه الوثائق ستجلو الحقيقة . وقال عندما نذهب لمكتبى سأطلعك على بعض الأوراق ، وعندما تراها ستوافقنى على أن هذه الأمور المشينة تجرى فى بلادنا . فقلت : يمكننى بعد قراءة تلك الوثائق أن أحكم على هذه المسألة . ومع أن مكارثى كان يميل الى معسول الكلام فان طريقته كانت مهذبة فى أغلب الأحيان . وعندما وصلنا الى مكتبه أفرغ محتويات حقيبته ووضع الأوراق أمامه وأعطانى بعضا منها قائلا أظن أن الحقائق ستبين لك ما خفى عنك بالنسبة لهذا الموضوع وقرأت الأوراق التى أعطاها لى بسرعة ثم قرأتها ثانية بمزيد من الدقة وعندما انتهيت من قراءتها قلت : انى أعتقد أن السناتور أعطانى تلك الوثائق خطأ . فقد كانت الوثائق مجرد رسائل من ضابط أو موظف بالحكومة الى آخر .

قال مكارثى هذا صحيح ولكن لا تسىء الظن بى فانا لم أقصد انك ستجد القصة بحذافيرها هنا . ان هذه الوثيقة وحدها لا تفيد شيئا ولكنها حلقة من سلسلة الحقائق وعندما تطلع على بعض المستندات الاخرى ستدرك المعنى الذى قصدته وكان كلامه كلام الواثق بما يقول . فشعرت بشىء من الخجل لاننى توقعت الاحاطة بموضوع معقد فى لحظات وقرأت وثيقة أخرى قدمها مكارثى قائلا : ستجد صورة عن الموقف . وكانت الوثيقة عبارة عن قائمة اسماء ولم تكن القائمة ذات معنى بالنسبة لى . وحاولت أن اربط بينها وبين الوثيقة السابقة ولكن لم يبرز أمامى شىء . وأخطرت مكارثى بذلك . فقال تماما هذا ما أرمى اليه . ان هذه الأسماء لا تعنى شيئا بالنسبة اليك وكذلك بالنسبة لى عندما بدأت فى البحث عن هذه المؤامرة . ولكنك ستدرك مدى أهميتها . اقرأها ثانية اذن . وحاولت أن أتذكر الأسماء

عبثا واعتقدت أن مكارثى لم يعطنى الوثيقة الهامة التى تفسر أهمية هــذه الأسماء وراح مكارثى ينسق الاوراق هنا وهناك قائلا : اننى أحاول أن أضع الصورة أمامك كاملة · وقد وجهت اللوم الى نفسى لعدم استطاعتى الالمام بتفصيل القضيه ·

ثم قدم مكارثى لى وثيقة محشوة بالأوراق وقال لأريدك أن تذهب قبل أن ترى هذه ، ففيها حقائق منقولة عن سجلات الجيش ، هذه الحقائق التى تحاول الحكومة وبلدوين التستر عليها · وقرأت الوثيقة مرات وقلت لأجد ثغرة فى قضيه الجيش · فقال ان الأمر كله أكاذيب وهم يحاولون تحويل الأكاذيب الى حقائق · وبدأت أضيق ذرعا بمكارثى الا اننى كتمت شــعورى قائلا : لقد فهمت الموقف الآن · لقد كان مكارثى مقتنعا بأن مذبحة مالميدى عمل من خلق خيال رجال وزارة الحربية المسئولين وأن الالمان قد عذبوا للاعتراف بارتكاب أعمال لم تحدث قط وان التستر على الجناة الأمريكيين بواسطة سناتور جمهورى شهير بامانته وشرفه أمر لا يجوز ·

على أية حال فقد قال لى مكارثى : لقد بدأت تدرك الموقف سأريك الآن بعض الأدلة التى ضمنتها عن الموضوع وأعطانى بعض الأدلة والمعلومات وهى أقوال بعض رجال البوليس السرى الألمانى المعتقلين كمجرمى حرب يزعمون فيها بأن معاملة الامريكيين كانت سيئة للغايه · ونظرا لنشر هذه الاقوال فى صحف المانيا فقد تقرر أن تقوم لجنة الخدمات المسلحة فى مجلس الشيوخ برئاسة بلدوين بهذا التحقيق ·

ومع أن مكارثى أعلن أنه سيستقيل من اللجنة مع أنه فى الحقيقة لم يكن يستطيع ذلك لأنه لم يكن أصلا عضوا فيها · الا أنه استغل ميزته كعضو فى المجلس وجلس مع اللجنة ابان التحقيق وأدلى أثناء المحاكمــة بخطابات عدة ·

ومن الأمور المعروفة ان النازى المحكوم عليه بالاعدام أو بالسجن يستطيع ذكر الحقيقة فيما يتعلق بسلوكه الماضى كمــا يستطيع تزوير هذه الحقيقة · وعجبت لان ما كان لدى مــكارثى من أدلة كان يثبت بها أن الامريكيين هم الذين يكذبون وليس الالمان ·

وقال مكارثى (ها قد عرفت الحقيقة) ان هذا هو ما ارادت الحكومة ممثلة فى بلدوين تشويهه وهذا ماحدا بى الى الانسحاب من اللجنة ، انهم يخفون الأدلة ويزيفون الحقائق · وعندما أعرض الأمر على الشعب فستبرز الحقيقه وسيقول الشعب كلمته ·

وفى النهاية ، شكرت مكارثى على لطفه وعلى حديثه معى وأنا آسف على الوقت الذى أضعته مع هذا الرجل دون فائدة فقد علمت أن الســـــناتور خدعنى وآمنت بعد هذه المقابلة ان هذا السناتور انما هو أكذوبة كبرى وانه طبل أجوف ·

الفصل الرابع

عصر مكارثى الذهبى

بدأ مكارثى فى ممارسة سلاح التهديد بالشيوعية عام ١٩٥٠ دون اى امل فى أن يمكنه ذلك من ان يكون رأسـا للاجتماعات والمؤتمرات . لقد كان أمله هو أن هذا الطريق قد يعاونه على البقاء فى مركزه . ولكن هذا لم يمنع من انه كان متخـوفا بعض الشىء عام ١٩٥٢ بالرغم مما كان يعتمد عليه من سطوة ونفوذ لدى الكثيرين من اصدقائه ذوى الشخصيات البارزة فى المجتمع .

وجد مكارثى نفسه فى وضع لا يحسد عليه ، وخاصة بعد أن افتضح امره لحصوله على رشـوة من شركة البيبسى كولا كما ذكرنا من قبل ، ولقبوله الرشوة من شركة لسترون . وقد شنت الصحف حملتها عليه ووصفته بأنه متهور ، لا ينظر الى الأمور بعين البحث والتروى . وهكذا بدأت فضائح مكارثى فى الانتشار فى ولاية ويسكونش وبدأت صحيفتـا «ميلووكى جورنال ، وماريسون كابيتـال تايمز» تنشران القصص عن حوادث الطلاق فى المحكمة التى كان يرأسها مكارثى سابقا ، فضلا عما ذكرته بأن اقراراته لمصـاحة الضرائب منذ عام ١٩٤٣ لم تدل على انه حقق أى ربح . ولما لفتت السلطات المختصة انظاره الى هـذا الموضوع ادعى انه لم يكن مستوطنا حينئذ فى ويسكونش وانما كان يعمل بالمدفعية فى جنوبى الباسفيك ابان هذا العام .

لكن المصلحة رات أن هذا الدفاع لا اسـاس له وارغمته على دفع غرامة قـدرها ٢٦٧٧ دولارا . وفى عام ١٩٤٩ رات لجنـة الطعـون بالكونجرس انه خالف دستور الدولة لأنه دخل الحملة الانتخابية لمجلس الشيوخ وهو يشغل منصب قاضى وفى أثناء دراسة التقارير الخـاصة بحملته الانتخابية لسنة ١٩٤٦ تبين أن مصاريف تلك الحملة قد بلغت ١٨٫٠٠٠ دولار ذكر أنه ورثها عن أبيه واخيه وزوج شقيقته على حين لم يقدم هؤلاء فى أقراراتهم الضرائبية ما يدل على وجود فائض لديهم .

وحدث ذات مرة أن مكارثى كان يتناول غداءه مع ثلاثه من رفاقه فى مطعم كواونى فى واشنجتن وهم الأب ادموند ولشن وشارلس هـ . كروس استاذ العلوم السياسية فى جورج تاون ووليام ا . روبرتس وهو من رجال الاعمال المعدودين ومحام مشهور فى واشنجتن وكان لكل من الرفاق الاربعة عقيدته السياسية برغم انهم كانوا جميعا ينتمون لمذهب دينى واحد « الكاثوليكية الرومانية » . كان روبرتس ديمقراطيا على حين

كان الآخران لا ينتميان لحزب من الاحزاب — وكان كروس يحاول ان يقنع مكارثى بقراءة بعض كتب الأب ديب والشن التى تعالج موضوع الشيوعية العالمية .

وبالرغم من أن تلك المقابلة كانت هى الأولى بين كل من مكارثى والاب ولسن « مكارثى » ذكر بانه سوف يطلب من المجلس الموافقة على أن يمنح معاشا شهريا قدره مائة دولار لمن تزيد سنه عن الخامسة والستين عاما . ثم تكلم من بعده الاب ولشن واقترح ضرورة القضاء على الشيوعية كقوة عالمية . ورحب مكارثى بالفكرة قائلا : « انها فكرة جميلة خاصة وان الحكومة مابيئة بالشيوعيين وعملائهم ولا بد من انتهاز الفرصة للقضاء عليهم قضاء مبرما » وقد حذر الجميع مكارثى مما سيترتب على فكرته هذه ، ولكنه لم يذعن لأى تهديد ، وذلك لانه كما نعلم عنه ما كان لينظر للامور الا من وجهة نظره الخاصة فقط . وكان كعهدنا به دائما مندفعا نحو اية فكرة تروق له دون اية روية او تفكير . وقد وجه تحذير الى مكارثى بعدم الاندفاع عند بحث مثل هذه المواضيع حتى لقد نبذه رفاقه الثلاثة بعد ذلك .

ولعل احدى المميزات الكبرى التى يتمتع بها شخص معتاد على استخدام الاكذوبة الكبرى هو ادعاؤه بانه قام بالكثير من البحث والتمحيص على حين لم يقم بالفعل بشىء من هذا اطلاقا . وان سيدات ويسكنسن اللائى سمعن مكارثى فى التاسع من فبراير فى هويلنج يرددن أن معه قائمة بأسماء ٢٠٥ او ٨١ او ٥٧ شيوعيا يعملون فى وزارةالخارجية يعتقدن أن مثل هذا الشخص لابد أنه قام بدراسات مستفيضة عن هذا الموضوع ، ولكن العكس هو الصحيح .

وتتابعت الاحداث ، فقد طلب مكارثى ذات مرة من لجنة الحملة الانتخابية فى الحزب الجمهورى فى مجلس الشيوخ أن تخوله الكلام عن الشيوعيين الذين يعملون فى هيئات حكومية وتزويده بشىء من الكتب لهذا الغرض وراح مكارثى يجوب مراكز الانتخابات فى الولايات .

ومما يذكر انه استعان بأحد محررى جريدة « هيرالد تريبيون » فى شيكاغو فى الخطاب الذى القاه ذات مرة خلال رحلته هذه قائلا :

« ليس لدى الوقت الكافى لأسرد على مسامعكم اسماء جميع الرجال الذين يعملون فى اجهزة الدولة وينتمون فى الوقت نفسه للحزب الشيوعى ، والى حلقة الجاسوسية المنتشرة ، وأن بين يدى الآن أسماء ما يزيد على مائتين وخمسين شخصا وجميعهم معروفون لدى وزير الخارجية ، ولكنهم ما زالوا قابعين فى مناصبهم يقومون بأعمالهم ويسيرون دفة الأمور فى وزارة الخارجية » .

والواقع انه كان لهذا الخطاب الذى القاه دوى هائل فى جميع الاوساط ، وكأنما القى مكارثى قنبلة اهتزت لها جميع ارجاء الدولة ، بالرغم من انه تجنب الحقيقة والواقع فى معظم ما اشار اليه . ذلك انه لم يكن لديه احصائية حقيقية ، وبفرض انه كانت لديه هذهالاحصائية ، الا يتبادر للاذهان اسئلة كثيرة عمن امده بها ؟ هل امدته بها ادارة

المخابرات ؟ أم هل اطلعه عليها وزير الخارجية نفسه ؟ ولماذا !!! ؟ أم هل هي من محض خياله ؟ ثم لماذا اختار مكارثي احدى الجمعيات النسائية ليلقى فيها خطابه هذا ويلقى بقنبلته هذه ؟

وسرعان ما تناقلت الصحف والانباء ما جاء بخطاب مكارثي وكان من تلك الصحف جريدة « نيويورك تايمز » التى أفردت لهذه الخطبة صفحات كاملة .

ويذكر احد زملاء مكارثي فى اول عهده بمطاردة الشيوعيين ويدعى فردريك وولتمان : « أن مكارثي كان يتكلم فى هذه الخطبة جزافا وكيفما عن له القول ، فلم تكن معه مذكرات او أية بيانات وان الاوراق التى كان يقلب فيها اثناء خطابه هذا ، لم تكن سوى قصاصات جرائد او مجرد خطابات خاصة لا تمت للموضوع بأية صلة . بل أنه بعد مرور بعض الوقت على خطابه هذا ، كان يقدح ذهنه هو ومساعده ليتذكرا بعض ما قاله فيها ، وكأنما كان كل ما قاله عفو الخاطر » .

تلك كانت طريقة مكارثي والتى ظل عليها حتى نهاية عهده ، ولما واجهته الصحف بأن وزير الخارجية ينفى علمه بهذه الأسماء ذكر انه لم يشر الى ان هنالك ما يزيد على المائتين من الشيوعيين وانما ذكر ان هنالك اخطارا بمثل هذا العدد تهدد البلاد .

وذهب بعد ذلك مكارثي الى مدينة سولت ليك Salt lake وخطب خطبة ثانية جاء فيها :

في الليلة السابقة تحدثت عن الشيوعيين فى وزارة الخارجية وذكرت أن بين يدى اسماء ٥٧ عضوا فى الحزب الشيوعى يحملون معهم بطاقات العضوية واحب أن ابلغ دين انشيسون انه اذا ما اتصل بى الليلة فى فندق أوتا ، فسوف أطلعه على أسمائهم بكل سرور .

تصدى له رجل من المستمعين اسمه فالنتين فدار بينهما الحديث على الوجه الآتى :

فالنتين : معنى هذا يا سناتور انك اذا دعيت فستكون قادرا على ذكر تلك الاسماء لدين اتشيسون .

مكارثي : لن اكون قادرا ، بل سأعطيها له فعلا .

فالنتين : سيدى ... هل تقصد بذلك القول أن هنالك سبعة وخمسين من الشيوعيين يعملون فى وزارة الخارجيه ويوجهون سياستها ويتحكمون فيها او يساعدون فى توجيهها على الأقل ؟

مكارثي : حسنا يا فالنتين .. لا اريد القول بأن عدد الشيوعيين بوزارة الخارجية هو ٥٧ فقط ، بل اننى اقول ان معى اسماء ٥٧ شيوعيا منهم .

ولكن دين اتشيسون لم يتصل به ولم يذهب لمقابلته بل أرسلت اليه وزارة الخارجية وقت ذلك برقية تطلب اليه فيها توضيح الموقف وصرح لنكولن هوايت ، احد المسئولين ، بقوله ردا على ذلك :

« اننا لا نعرف شيئا عن وجود شيوعيين بالوزارة ، واذا عثرنا على أحد فسنطرده من منصبه »

ولكن تلك الأكذوبة سرعان مانمت وتضخمت وأعلن مكارثى أنه على استعداد لان يطلع رئيس الجمهورية على تلك الاسماء وأرسل فى الوقت نفسه برقية تحوى هذا المضمون لرئيس الجمهورية ونصها :

على الرغم من اننى لا املك السجلات اللازمة فاننى اعرف تمام المعرفة ان هنالك مجموعة تبلغ نحو الثلاثمائة شخص يعرف وزير الخارجية ميولهم الشيوعية ، وقد قام حتى الآن بابعاد حوالى الثمانين منهم .

ولم يهتم الرئيس ببرقيته ولا بخطابه . وعندئذ ذهب الى رينو والقى خطابا قال فيه :

« اننى ارى ان وزارة مهملة مثل وزارة الخارجية ملطخة بالشيوعية وبين يدى الآن اسماء ما يزيد على الخمسين شخصا ممن يدينون بالولاء للشيوعية ويعملون لحسابها فى تصريف الشئون الخارجية للبلاد ووزارة كهذه لابد أن تطهر من تلك العناصر » .

وعندما عاد من رينو وجد نفسه ملزما بتوضيح تصريحاته امام مجلس الشيوخ ولقد استمرت ايضاحاته ست ساعات كاملة ، وكان ذلك يوم ٢٠ فبراير وتضاربت اقواله فى صحة الأعداد التى ذكرها .

ولقد كان نتيجة لهذا الخطاب ان انعقد المجلس ثلاث مرات متتالية ، وفى الساعة المحددة للاجتماع الأول دخل مكارثى القاعة محتضنا حقيبته الضخمة والتى اصبحت فيما بعد ملازمة له أينما ذهب وحيثما حل حتى أصبح يعرف بها كما أصبحت تعرف به .

واعلن فى اللجنة انه استطاع ان يخترق ستار السرية الحديدى الذى يفرضه ترومان ، وأنه سوف يعرض واحدا وثمانين قضية شيوعية دون أن يحدد الأسماء وكان هذا الرقم جديدا ولما استفسر احد الاعضاء عن حقيقة الرقم الذى يقصده هل هو ٢٠٥ أو ٥٧ أو ٨١ ، وهو الرقم الجديد ، اجاب انه تمكن من معرفة ٢٤ قضية اخرى ، ولكنه أشار على المجلس ان يعلم ان تلك القضايا جميعها لا تنحصر فى وزارة الخارجية فقط ، وأخذ يتخلص من كثير من تلك القضايا مدعيا مرة أن اصحابها تركوا الوزارة الآن ، وتارة اخرى يقول انهم يعملون فى منظمة الأمم المتحدة ، وذكر أن اصحاب القضايا رقمى ٢١ ، ٢٦ يعملون الآن فى راديو صوت امريكا ، اما القضية رقم ٢٤ فتشبه القضية رقم ٣ وأن القضية رقم ٩ تماثل القضية رقم ٧٧ . وأن القضايا رقم ١٣ ، ٧٨ عبارة عن طالبى وظائف بوزارة الخارجية عام ١٩٤٨ وأن القضية رقم ٢٥ كان صاحبها مرءوسا لصاحب القضية رقم ١٦ والذى تذكر ملفات الوزارة عنه أنه كان أخطر عميل مع الجاسوسية داخل الوزارة . وكان صاحب القضية رقم ١٢ موظفا بوزارة التجارة ولكنه ، اى مكارثى ، لا يعرف مكانه الآن وان

القضية رقم ٦٢ ليست بذات أهمية من وجهة نظره للنشاط الشيوعى وذكر عن القضــــية رقم ٤٠ ــ أننى لا اعرف معلومات كثيرة عن هذه القضية اللهم الا البيــان الذى اذاعتــه الوكالة « دون أن يذكر اسم تلك الوكالة » وأشار مكارثى الى حالة تستحق النظر فى رأيه :

« ان هذه القضية تختلف تماما عن القضايا السابقة ذلك اننى أعلم بأن صاحبها رجل لايدين للشيوعيين بالولاء وانما هو منــاهض لها وان صاحبها لم يعمل بوزارة الخارجية » هذا عن القضية ٧٢ • واستمرت الجلسة من الظهيرة حتى منتصف الليل دارت خلالها مناقشات لم تكن لتستحق البحث والاجتماع •

ولقد بلغ عدد المقاطعات التى أحدثها « سكوت لوكاس » فى اثنــاء الجلسة واحداً وستين مرة كان يحاول فيها يائســا ان يطالب من مكارثى التزام صحة الارقام • كمــا قاطعة كذلك برايان ماك ماهون اربعا وثلاثين مرة طالبا منه التزام العقل والحــكمة وأن يتكلم بالطريقة المتبعة فى المجلس ، كما حاول اعضاء آخرون تلك المحاولات نفســـها ولكن دون جدوى غير أن مكارثى لم يهتم بهذا كله وظل مندفعا فى تياره الفوضوى الثائر مبينا أن طريقته وأسلوبه فى العمل سيظهران فيما بعد •

وعندما أحس بمدى التأثير المتزايد لما يحدثه من ذكر الأرقام قال بمنتهى الاستهتار والثبات « لنترك الآن لعبة الارقام السخيفة هــذه وعلى السناتور لوكاس أن يعلم اننى لن أجيبــه عن اسئلته السخيفة ولن اعيرها اى التفات فهذا الموضوع هام وخطير » •

❊ ❊ ❊

وانتهت الجلسة بهذه الصورة المخزية فى منتصف الليل بناء على رغبة ابداها زعيم الاغلبية •

فى هذه الليلة الليلاء التى انعقد المجلس خلالها لم يجد مكارثى من يناصره من اعضاء المجلس سوى اثنين ذكرا أن برنامج الأمن الذى وضعه ترومان غير مناسب وانه ولا شك يوجد عدد من الشــــــيوعيين داخل الحكومة ••

واصبح الجميع يتجنبون مناقشته او معارضته ، حتى لقد قال عنه ريتشارد نكسون أنه بلاء وكارثة • كما ذكر أحد الصحفيين، ويدعى يوجين ليونز ، ان حظ الشيوعيين يرتفع ويتحسن بظهور هرقـــــل جـديد لهــا هو الســناتور مــكارثى ، ولقـــد كان كل من مارتن وايز « من تكســـاس » وجون رانـــكن « من المسيسبى » وبارنل توماس «من نيوجرسى » من منظفى الاسطبلات ســــابقا وممن اشتهروا بالعته والجنون والجهل وعدم تقــدير المسئولية ، فجاء للوجود من يفوقهم فى العته ... رجل عبارة عن مثل للجهل والغباء ... رجل جاء ليستمد من المحاولات الجدية الحقيقية القضاء على الشيوعية •

واننى اخشى ان تنقاد الجماهير لمثل هذا المضلل ، ولكن الصحافة لن تغفل ابدا تلك الحقائق ــ وهى أن مثل تلك الاسطبلات تحتاج الى التنظيف • »

ولكن ما انقضت عدة أسابيع على هذا اليوم حتى بدأ تانست وليونز ينظران الى المسألة بنظرة مغايرة وقد قال تانست عن مكارثى

« انه كالذهب الخالص » وقال ليونز « انه رجل عمل وقائد بارع وان كذبه لا يفشل كما انه لا يهتم بنفسه ولا يضيره ان يجعله كذبه اهلا لتنظيف الاسطبلات ما دام يستطيع ان يجذب اسماع الناس وابصارهم » .

ولم يمض بالفعل وقت طويل حتى كان مكارثى قد نجح فى جذب الانظار اليه . ولقد تمتع مكارثى بقدرة فائقة فى مضايقة وارهاق اعصاب معارضيه . هذا بالاضافة الى أن الصحافة لم تذكر بالتفصيل ما حدث فى تلك الجلسة ، ذلك لأن اجاباته كانت مفككة مشوشة ممزقة لا رابط بينها مما لم يتعود قراءته جمهور القراء ، وكل ما ذكرته الصحف ان مكارثى أجاب بوجود ٨٠ شيوعيا داخل وزارة الخارجية . ومما لا شك فيه أن الجمهور عرف ان مكارثى قد قوطع ونوقش اثناء الجلسة ولكنه يعرف التفاصيل وانه لابد أن يكون لتلك الارقام التى ذكرها نصيب من الصحة حتى ولو كان قليلا . وأن رجلا مثل مكارثى اذا ما اراد معرفة حقائق الامور سوف يعانى الكثير من الصعاب ، ولذا وجب على الاعضاء عدم الضغط عليه وعدم ارهاقه بالأسئلة التى يوجهونها اليه • وذكر البعض أنه بفرض ان معظم ما ذكره مكارثى غير صحيح ، فان هنالك بلا شك ظلالا من الحقيقة تكفى لأن توضح أن الموضوع ليس سهلا يسيرا وانما يحتاج للتدبير والبحث ،وهكذا تمكن مكارثى من توجيه الانظار اليه .

بذلك بدا مكارثى يستحوذ على اسماع الشعب وقد كسب ذلك بعد الكذبة الكبرى . وكان يبدو للذين فى مجلس الشيوخ عشية ٢٠ فبراير أن الشىء الوحيد الذى يجب حمله على محمل الجد فيما يتعلق بمكارثى هو قدرته على ازعاج ومضايقة نقاده . ولم يظهر مكارثى نفسه بأنه كاذب فحسب وانما اظهر أيضا حقارته ونفاقه .

واما ما كان يثير اهتمام الناس العاديين فهوأن عضوا فىمجلس الشيوخ الأمريكى ألقى خطابا مثيرا يتسم بالسخط ، ضمنه تفاصيل عدة عن ٨١ شخصا من الشيوعيين فى وزارة الخارجيه • ومن الواضح بالنسبة للفرد العادى ان تأكيدات مكارثى قوبلت بنقد شديد وانه فشل فى اقناع عدد من نظرائه . وقد عدل مكارثى ارقامه فى المساء منذ أن تحدث عن هذا الموضوع اول مرة • ولم تستطع احدى الصحف ان تذكر الحقيقة ـ لأنها ليست متيقنه من صحة ذلك ، وقد فشل مكارثى فى أن يذكر اسم شيوعى واحد فىوزارة الخارجية . وكان من الممكن ان يدرك المرء ان سجل مكارثى السابق لا يوحى بالثقة • كما أنه من المستحيل ان يدخل الشيوعيون وزارة الخارجية • وقد ادين الجير هيس منذ شهر من الزمن • وقد اسفرت محاكمة هيس عن ظهور شيوعى آخر يدعى جوليان ، وادلى بأنه متآمر ينقل أسرار الخارجية •

وفى هذه الظروف ، كانت هناك ثلاثة آراء بالنسبة للمواطن الذى

درس خطابات مكارثى الأولى والذى لا يعلم شـــــيئا عن مضمون هذه الخطابات وما تتعلق به .

فبالنسبة للرأى الأول من الممكن عدم الاهتمام بمكارثى باعتبار أن اقواله كاذبة . فاذا كان يعرف اسـماء الشيوعيين فلماذا لا يذكرهم صراحة . وبالنسبة للرأى الثانى . هو ابقاء الدليل سرا . ولم يثبت مكارثى ان هنالك شيوعيين فى وزارة الخارجية . كما أن احدا لم يثبت وجوده ، فالمسألة اذن لا تتطلب ابداء حكم . والرأى الثالث انه كان من المنطقى اظهار الشك فيما يقول .

وهو يستحق ذلك لان الارقام التى ذكرها لم تكن محددة وكانت الظروف معارضة للسـناتور الامريكى بحيث اظهرت خطاه . وانصار هذا الرأى لا يكمن تحويلهم عن رأيهم لان مكارثى قد غير ارقامه عدة مرات .

وهكذا نرى أن الاكذوبة الكبرى أوجدت جمهـــورا كبـــيرا من المستمعين لمكارثى لم يكونوا ليستمعوا اليه لو أنه كان كاذبا بسيطا أو اكثر اعتدالا وتواضعا . وكان دائما يجد اذنا صاغية بين الجماهير عندما يتحدث عن وجود عدد من الشيوعيين فى الجهاز الحكومى .

وكان من المستحيل على الصحف ان تكذب اقواله علنا ، كما انه كان يستحيل عليها أن تذكر للجمهور أن هذه الرواية صحيحة وتلك كاذبة لانها لم تكن على علم بالقصة الحقيقية .

* * *

وفى رأيى ان مكارثى لم يكن اطلاقا من انصار ميكيا فيالى كما لم تكن لديه فكرة الاستراتيجية كما لم يكن معروفا بمكره ، الامر الذى يفيده فى غده كما يفيده فى يومه . لقد كان يخترع ويؤلف من وحى الساعة ولكنه تمكن من أن يكون محور السياسة الامريكية طوال ستة اسابيع كاملة من الضجيج والصراخ . وبمرور الايام تزايد عدد جمهوره وحصل على التأييد الحزبى ، والتف حوله جمهور من الســـاخطين والحاقدين ، واتخذوا منه زعيما لهم . ولم يكتف بهذا بل وصلت اليه مبالغ كبيرة من النقود سواء من واشنطون أو نيويورك وغيرها كشيكاغو ولوس انجلوس وفيلادلفيا وكولومبيا وغيرها . وبعد بضـعة اسابيع وصله من مادليون وايوا ألف دولار ومن ديترويت ٣٠٠٠ دولار الى جانب ٧٠٠٠ دولار أخرى من واشنطون أما المبـالغ الـكبيرة فكانت تأتى اليه من الشخصيات الكبيرة التى يهمها محاربة الشيوعية . ونذكر منهم الفريد كوهلبرج ، مستورد قماش الدانتيل ، والمستر جارفن تانكرسلى ناشر مجــلة التيمز هيرالد بواشنطون والكولونيل روبرت س . ماك كورميك ناشر مجلة تريبون بشيكاغو . والى جانب هؤلاء جميعا كان هنالك بعض السياسيين الذين وقفوا الى جانبه ونذكر منهم السناتور تافت وكثير غيره ممن كان يهمهم ان يثيروا أى موضوع من شأنه احراج الديمقراطيين .

ولقد كان اغنياء ولاية تكساس من اكثر مؤيديه نفوذا وسطوة لقد كانوا مغرمين بمكارثى وبكل ما يقوله وكل ما يفعله ، وكانت مصـــــالح

مكارثي واغراضه ذات طبيعة شاذة بالنسبة لزعيم سياسي له مقدرة خارقة ، وفي هذه الاثناء تبلور الموقف عن مكارثي بشخصيته التي اوضحناها ومن حوله مريدوه ومؤيدوه الذين قدموا انفسهم اليه وافرغوا جيوبهم تحت قدميه . وكان مكارثي يسدى اليهم الشكر ويقول لهم : « انه يحتاج منهم لمعونة اكبر واشمل » . ومع ذلك لم يفكر مكارثي ابدا في تنظيم مؤيديه وانصاره سياسيا .

حقيقة قد ظهر في بعض الاماكن ما يسمى بنوادي مكارثي ولكن مما لا شك فيه ان مكارثي كان بعيدا كل البعد عن تكوينها وتنظيمها . اما عن الاموال التي وصلت اليه نقدا فقد انفق منها اقل القليل في النضال ضد النفوذ الشيوعي وهو نضال لا يحتاج لاموال باهظة . وفي اول الامر كانت الدعاية مجانية ولم تكن في حاجة لهيئة تقوم بها ، كما لم تكن البحوث التي قيل انه يقوم بها تحتاج لمعونة احد . ولقد انتشرت في هذا الوقت شائعات تذكر ان هناك وكلاء لمكارثي يمدونه بالمعلومات في مناطق كثيرة من العالم ، وسرعان ما تأكدت تلك الشائعات عندما تمكن البوليس السويسري من القبض على شخص يدعى شارلز دافيز — وقدم للمحاكمة وفيها اعترف بالتجسس على الوزير الامريكي جون كارتر فنسنت . وقد صرح المسئولون في الحكومة السويسرية بأن هناك شواهد تدل على ان هذا الجاسوس يعمل لحساب السناتور مكارثي ، وقد ادين في المحكمة وحكم عليه بالسجن ثمانية اشهر .

وفي ٢٢ فبراير اتخذ مجلس الشيوخ قرارا اجماعيا بأن تقوم لجنة العلاقات الخارجية او اية جهة اخرى مسئولة بدراسة شاملة مفصلة وتحريات دقيقة لمعرفة ما اذا كان هناك بوزارة الخارجية اشخاص خونة ولم تقم اللجنة الفرعية للابحاث بهذه المهمة ، واكتفى السناتور تيونجر ببحث الاتهامات التي كان يأتي بها مكارثي .

وكان مكارثي قد ترك واشنطن ايضا وذهب الى اريزونا ، وفي ٧ نوفمبر عاد مرة اخرى لواشنطن لاداء اليمين على انه الشاهد الاول أمام لجنة تيونجز فوصل في الوقت المحدد حاملا تحت ابطه حقيبته المشهورة التي تحمل مستندات الخيانة التي تهز الامة ، وسوف تكتب بالخطوط العريضة الى جانب صفحات الحرب في كوريا . وفتح مكارثي حقيبته وبعثر بعض محتوياتها وبدأ بقراءة القضية الاولى من القضايا الاحدى والثمانين التي قال ان أصحابها يحملون بطاقة العضوية للحزب الشيوعي ويعملون بوزارة الخارجية .

كانت صاحبة هذه القضية قاضية امريكية اسمها دورثي كينيون وهي سيدة مشهورة بنشاطها الاجتماعي ، ولكنها لم تعمل بوزارة الخارجية أو اية هيئة حكومية غير أنها كانت عضو شرف بلجنة الامم المتحدة تبحث عن مركز المراة الاجتماعي . وقد قضى مكارثي يوما ونصف يوم يتكلم عن التنظيمات التي نسبت اليها ، ونشاطها السياسي المريب . واستمرت الاجتماعات من اوائل شهر مارس حتى أوائل شهر يوليو ، حتى لقد بلغت الصفحات التي كتبت كمحاضر ١٥٠٠ صفحة مطبوعة وارفق بها اكثر من الف وثيقة . وقد صرح مكارثي

للصحفيين والمعلقين السياسيين انه ينوى الاستمرار فى هذه الاجتماعات فى الخريف حتى تظل عالقة فى ذهن الناخبين يوم الانتخابات .

قضى مكارثى اربعة أيام يتكلم فيها عن عشرة اشخاص وعلى الرغم من انه قال انه سيتكلم عن الاحدى والثمانين قضية فانه لم يتعرض الا الى خمس وثلاثين حالة فقط . وقد حدد مكارثى بعض الاسماء ولكنه لم يقدم اية ادلة او شواهد تثبت صدق اتهاماته ومزاعمه . وقد قال له تيونجز رئيس اللجنة ذات مرة :

« انك تضع اللجنة فى مركز حرج فمن أين حصلت على هـــذه المعلومات وتلك التقارير ؟ » .

واجاب مكارثى بقوله :

« اننى لا أكيل الاتهامات لاحد . اننى فقط اقدم لهــذه اللجنة معـــــلومات عن اشخاص يظهرون لكل عاقل وكل من يهمه الامر بأنهم خطر على أمن الدولة . والحقيقة اننى لست فى مركز يســـــمح لى بأن أوجه الاتهامات لاحد . فاذا ما اردت أن أقدم الدليل على اتهاماتى فمن أين يكون هذا الدليل ؟ » لقـــد ذهب تيونجز بنفسه الى الرئيس ترومان ورجاه ان يوافق على أن يطلع اللجنة على ملفات وزارة الخارجية وعندما وافق ترومان ووصلت المـــــفات ؟ قال مكارثى ان التقـــارير السرية للموظفين وتقارير المخابرات قد رفعت منها .

كلف تيونجز شخصا يدعى ادجار هوفر بمراجعة هذه التقـــارير للتأكد من أن أقوال مكارثى صحيحة وعاد ادجار بعد فترة الى تيونجـــز وهو يقول :

« ان ملفات وزارة الخارجية غير دقيقة » . ومضى مكارثى الى آخر هذا الشوط البعيد فأعلن فى ١٠ مارس انه سيقدم قضية شخص يشغل منصبا هاما بالوزارة وانه يحتاج فقط العطلة نهاية الاســـبوع لجمع وتنظيم المعلومات الخاصة به وانه سيكون مستعدا صبيحة يوم الاثنين ١٣ مارس .

وفى صباح ذلك اليوم دخل مكارثى القاعة حاملا حقيبته فى يده واعلن انه مستعد للمضى فى شهادته ولكن القضية الخطيرة التى قال انه سيعدها تحولت لمناقشة عن موضوع الاسكان . وتدخل احد الحاضرين فقال ان موضوع الاسكان قد تأجل بحثه فرد عليه مكارثى بكل هدوء ان هذه اخبار لا بأس بهـا انه مشغول بموضوع هام اذ ان هنـاك بعض الاشخاص من ولاية ويسكنسن ينتظرونه فى مكتبه .

ولكن اللجنة لم تدعه ينصرف من جلسته وطالبت شهادته فقال بكل ثبات انه يرغب كثيرا فى اعطاء شهادته وان معه اربع قضايا يود عرضها ، واحدة منها فى الاسطول ، واثنتين فى وزارة الخارجية والرابعة هى حالة مستر أوين لاتيمور أحد أساتذة جامعة جونز هوبكينز» .

وكانت قضية لاتيمور اشهر قضايا مكارثى وقد قال عنه مكارثى

« أنه أكبر عميل روسى فى البلاد بأسرها » وأخذت مكارثى الحماسة فأخذ يردد صائحا : اذا وجدت اللجنة ما يثبت عدم صحة كلامى فى هذه القضية فان لها الحق فى ان تعتبر كل أقوالى السابقة محض هراء » .

ومن المؤكد أنه عندما تكلم عن أكبر عميل روسى فى الولايات المتحدة لم يكن قد حدد له اسما بالذات ، واما اسم لاتيمور فكان أحد الاسماء التى وقع عليها بصره من الاسماء الكثيرة فى القائمة التى كان يحملها .

ولا شك بعد ذلك انه ادرك الخطأ الذى تردى فيه بذكر اسم لاتيمور ، فلم يكن لاتيمور هذا موظفا بالخارجية ولا جاسوسيا ولا شيوعيا .

كل ما اخذه عليه انه فى ثلاثينات وأوائل اربعينات هذا القرن اعلن وجهة نظر معينة عن قارة آسيا تتفق ووجهة نظر الشيوعيين .

كان لاتيمور رجلا أكاديميا وسياسيا وصحفيا وقد تخلى مكارثى عن اتهامه بالتجسس ثم وصفه بانه المنظم السياسى لسياسة امريكا فى الشرق الاقصى . لقد كانت له حقيقة بعض الكتب عن الصين أثرت الى حد كبير على عدد من موظفى وزارة الخارجية ، ولكن مكارثى لم يكن يعرف شيئا عن هذا عندما ذكر كلامه . لقد كان يحتاج الى جاسوس يضعه فى جدول أعمال لجنة تيونجز . فوقع اختياره على اوين لاتيمور . لقد كان هذا الموضوع الذى عرضه مكارثى قذرا وان كان قد سمح ببعض الترفيه للجنة .

قال مكارثى : يحتمل أننى اهتممت كثيرا بما اذا كان لاتيمور جاسوسا أو غير جاسوس ، ولكنه كان مشرفا على تنظيم السياسة . وقال : « يمكنكم أن تسألوا ايا من طلبة المدارس عمن ينظم سياستنا فى الشرق الاقصى فسيقول اوين لاتيمور » وقد ارتاحت الصحف لهذا القول .

وتطرق مكارثى بعد ذلك فتكلم فى موضوع عجيب فقد قال « انه اكتشف أن الشذوذ الجنسى له اهميته فيما يتعلق بأمن الدولة وقد تكونت فعلا لجنة اطلق عليها اسم « لجنة منظمة كولومبيا » . كان هدفها بحث موضوع الشذوذ الجنسى فى الحكومة . وقد نشرت هذه اللجنة كتيبا اشارت فيه الى مشروع سوفييتى لوضع السيدات العاملات بوزارة الخارجية تحت قبضة الشيوعيين بتشجيعهن على الانحرافات الجنسية . وشكل بوليس المنطقة فرقا خاصة لمكافحة الرذيلة والتحقيق فى صلة الشذوذ الجنسى بالشيوعية !! .

كان موقف ضحايا مكارثى دقيقا ومحرجا ، فقد كان عليهم أن يثبتوا أن اقوال مكارثى كاذبة وان يقدموا الدلائل على براءتهم وكان باستطاعة مكارثى ان يثبت ان جميع ادلتهم غير كافية وان الشيوعيين لن يتورعوا عن اصطياد من كان منهم رئيسا لناد أو لرابطة اجتماعية او لأى تنظيم آخر مهما كان نوعه .

وفى منتصف شهر يوليو أصدرت لجنة تيونجز بيانا بنتيجة

اجتماعاتها وصفه مكارثى ـ قبل ان يطلع عليه ـ بأنه انتصار جديد للشيوعيين وخزى لمجلس الشيوخ .

وقد قال تيونجز فى هذا البيان : « ان مكارثى قد فرض على المجلس موضوعا كاذبا من محض اختلاقه » . لقد بدأ مكارثى من لا شىء ومضى يحاول بدون جدوى اختلاق بعض المعلومات التى اتسمت بالتضليل والتلفيق • ورفض التوقيع على هذا البيان اثنان من اعضاء المجلس هما لودج من ولاية ماساشوستيس ويورك هيكنلوبر من ولاية ايوا • وقد عللا ذلك بان التحريات التى قامت بها اللجنة لم تكن كافية لاعلان أن صفحة وزارة الخارجية بيضاء تماما كما جاء فى هذا البيان . وخطب وزير الخارجية فى جمعية محررى الصحف الامريكية وقال : انه ليس ثمة ما يدعو الى الحمله على وزارة الخارجية فهى جهاز ممتاز يتضمن شخصيات مثل جورج ماجى من تكساس . أحد رجال النفط السابقين ، وويلارد ثورب من شركة دون ولبراوستريت سابقا وهكذا.

وكان فردريك فاندربيلت نيلد من ضحايا مكارثى الذين لم ينكروا ميولهم وعطفهم على الشيوعية .

ولقد استطاعت الحرب الكورية جذب انظار الناس وانتباههم وانصرافهم عن مكارثى واقواله واتهاماته ، وعند حلول الخريف كان نجم مكارثى قد بدأ يعود مرة أخرى ، فلقد استمر قوى الشكيمة الى أن انتهى أمره فى سنة ١٩٥٤ • ولم تكد تمضى مدة قصيرة حتى بدأ يطالب باستقالة دين اتشيسون أو بادانة هارى ترومان . وقد اثار حملة عنيفة ضد تعيين آنا روزنبرج من النساء اللاتى لهن نشاط كبير فى عالم الاعمال بنيويورك كوكيلة لوزارة الدفاع على أساس انها كانت ذات ميول شيوعية ويحتمل أن تكون هذه الميول لا زالت لديها . وكان هذا الادعاء كاذبا لا أساس له • وقال البعض ان سيدة شيوعيه كانت بهذا الاسم فى الويست كوست منذ عشرين عاما . وكان مكارثى يرسل للصحف مادة عن هذه القصة يوميا . وفى اجتماع للحزب فى نادى سولجراف فى واشنطن اشتبك مكارثى بالايدى مع احد الصحفيين الذى أثار أسئلة عن خلاف مكارثى مع سلطات الضرائب فى ويسكنسن ، وتحول الاشتباك الى خصام ثم الى قضية تشهير وانتشرت انباء هذه القصة ••

ولقد كان مكارثى فى مضمار النشر فريدا لا يجاريه احد من الساسة . وربما كان مطبوعا على ذلك .

وكان يعرف المواد القابلة للنشر كما كان يعرف الصحفيين وكيف ومتى يعملون وما الذى يحتاجون اليه عند النشر وخاصة العناوين البارزة وغير ذلك • وكان يعرف تماما كيف يضعف من شأن بعض الروايات .

وفى أحد أيام سنة ١٩٥١ كان مجلس الشيوخ يناقشه فى تحديه للجنة الفرعية الخاصة بالحقوق والانتخابات وكان سير المناقشة مضادا

لمكارثى . ولكنه اتهم الاعضاء المحترمين بسرقة اموال المواطنين وانفاقها فى القيام بعمل التحقيقات من حوله .

واستطاع مكارثى ان ينتصر بقرار يدعو الى استمرار التحقيق وتوسيع نطاق اللجنة بحيث يشمل التحقيق السناتور بنتون صاحب مشروع القرار الذى تقدم به لطرد مكارثى والذى كان سبب اثارة الازمة كلها .

ولكن مكارثى لم يكن ليدع قصب السبق يفلت من بين يديه فأعلن فى احدى خطبه أن الجنرال مارشال له دور فى المؤامرة الشيوعية .

وازداد مكارثى تطرفا فاعلن انه يعتقد أن ناثان بيوزى الذى عين اخيرا مديرا لجامعة هارفارد كان ولا يزال عضوا فى الحزب الشيوعى وقد ابتدع مكارثى فى ذلك الوقت بدعة جديدة وهى عقد اجتماع صحفى فى الصباح يعلن فيه عن اجتماع صحفى آخر فى المساء .

وفى هذه الفترة كان الصحفيون يستجيبون له كما كانت تستجيب كلاب بافلوف لرنين الاجراس . وكان مكارثى يكتفى بان يقول لهم انه مستعد لان يخبرهم بشىء هام فى المساء من اليوم نفسه ، حتى تعلن الجرائد المسائية عن الاخبار الخطيرة التى ستظهر فى اليوم التالى .

وكانت هذه الاجتماعات كفيلة بأن تكسب له مجدا عريضا فتنتشر صحف المساء مثلا . « كشف جديد يعلنه مكارثى اليوم » ولما يحين المساء فاذا وجد مكارثى عنده شيئا ادلى به واذا لم يجد شيئا فانه يصرح بأنه لم يكن مستعدا وانه وجد صعوبة فى الحصول على بعض الوثائق التى تثبت اقواله .

وهكذا تنشر الجرائد فى الصباح « تأخير قضية مكارثى الجديدة — البحث عن الشهادات السرية » كان كل الذى يعنى مكارثى هو أن تنشر الصحف اسمه مهما كان مضمون الخبر الذى يقترن باسمه ، فقد كان هذا كافيا فى نظره لان يحفر اسمه فى عقول المواطنين الامريكيين .

وقد حدث ذات مرة أن قابل صحفيتين فى أثناء مغادرته مجلس الشيوخ فاقترب منهما على الفور قائلا : « هلا تبحثان عن قصة جديدة ؟ » وكان الرد الطبيعى هو « نعم ، فهل عندك شىء جديد ؟ » فقال « نعم » ومشى ثلاثتهم معا ومكارثى يجهد ذهنه ويفكر تفكيرا عميقا ، واخيرا صاح فيهما قائلا : « سأبلغكما شيئا هاما » « يمكن أن تنشرا أننى سوف استدعى هارى ترومان للشهادة . نعم سأستدعيه » فصاحت احداهما قائلة :

« هل أنت جاد يا سناتور جو ؟ » فرد بقوله : « نعم — وسأكتب طلب استدعائه الآن — سأستدعيه للادلاء بالشهادة فى موضوع هارى ديكستراويت » .

ولم يحدث أن استدعى مكارثى هارى ترومان للشهادة ، ولكن القصة نشرت وتداولها الناس ، وكان الشىء الذى يدعو للعجب حقا

أن الصحافة كانت تعيره أذنا صاغية . وتنشر أكاذيبه ، وكان معظمهم يعلم تمام العلم مدى كذبه وغشه وتحايله . ولعل سبب ذلك ما قاله المعلق السياسى وولتر ليبمان « ان اتهام مكارثى غيره بالخيانة والجاسوسية والفساد أخبار لا يمكن تجاهلها ، فهذه الاخبار يعلنها سياسى وسناتور أمريكى ذو مركز محترم فى الحزب الجمهورى ، ومثل هذا الرجل الذى يتهم وزارة الخارجية ووزارة الدفاع لا يمكننا التغاضى عنه أو عن أقواله فنتركها بدون نشر » .

ومما ساعد على انتشار اتهامات مكارثى جرأته وقدرته الخارقة على الكذب .

ومن الاسرار التى كان يعرفها مكارثى — دون أن يدرك ذلك — هو أن الصحف الامريكية . تعكس الفكر الامريكى ، وان الفكر الامريكى — كما قال دوايت ماكدونالد — قد تأثر بعبادة الدولار .

ان الحقيقة قد انتصرت ، فالوقائع الصحيحة بالنسبة لنا حقائق حينما تبين حالات مادية واضحة . وذلك لم يكن الحال بالنسبة لدوروثى لينيون فانها لم تكن تعمل فى وزارة الخارجية ولكن ذلك الامر قد أصبح حقيقة عندما قال مكارثى ذلك .

فالقول — حقيقة — بأنها لا تعمل لحساب الوكالة معناه الادلاء بالحقيقة بطريقة سلبية .

وكان مكارثى على معرفة بهذه الحقائق وكان باستطاعته ان يعرف انه بالامكان التأثير على الفكر الامريكى بوثائق كاذبة أو بحقائق مختلفة .

وكان يبدو لى أن مكارثى قد كون رأيا قائما على معرفة خاطئة ، وهذا كان يعتبر مهزلة كبرى وبذلك كانت تنتصر الحقيقة أما أساس التلفيق فيكمن فى نجاح الشخص بتحويل أساليب الادب ضد ما كان يقصده الادباء ، وكان مكارثى يحمل معه وثائق عديدة دائما واصبحت حقيبته شيئا لازما لايفارقه ، وكان دائما يقدم احتمالات مواجهة الجمهور بالاوراق التى لديه وقد كان على صواب فى ذلك .

وفى الفترة التى سبقت تيونجز ، حدث أن أظهر مكارثى صورة موظف يدعى جوستاف دوران وهو يلبس رداء احد افراد الجيش الجمهورى الاسبانى قبل ذلك بنحو ١٥ عاما ، وقد وصفه مكارثى بأنه من موظفى وزارة الخارجية وان الرداء هو رداء البوليس السرى الروسى .

وقال مكارثى فى مجلس الشيوخ ذات مرة عن رسالة كتبها اوين لاتيمور الى زميل سابق هو جوزيف بارنز : « انها وثيقة هامة » وهو يحب ابرازها لجميع أعضاء المجلس . وقد اقنع الاعضاء بقبول هذا العرض باستثناء السناتور ليبمان الذى توجه الى مقعد مكارثى ليرى الوثيقة .

قال مكارثى : « لم يكن لى أن استسلم » وتصرف مكارثى بسرعة

وأبتدع بضعة اسطر لخدمة غرضه ونسبها لاوين لاتيمور . وقد عرب ذلك بعد لحظة عندما علم ان الرسالة ما هى الا جزء من نسخة مطبوعة وليست صحيحة .

وفى ظهر ١٩٥١/٦/١٤ ذهب مكارثى لمجلس الشيوخ ومعه حقيبة مليئة بمستندات تفيد الخدمات العسكرية ولجان العلاقات الخارجية بالمجلس التى قامت ببحوث السياسة الامريكية فى الشرق الاقصى بعد استدعاء ترومان الجنرال ماك آرثر للشهادة .

ولم تكن هذه المستندات كما زعم مكارثى تتصل بالجنرال ماك آرثر ولا بالسياسة الامريكية فى الشرق الاقصى ، بل كانت تعالج موضوع وزير الدفاع الجنرال جورج كاتلت مارشال . ولهذه الوثائق اهمية كبرى ليس لانها كانت اجرأ وأوضح عمل قام به مكارثى ، بل لانها جمعت خطبه كلها فى كتاب واحد ، ولعل أهم سبب من أسباب شهرة هذه الخطب هو موضوعها .

فقد كان الجنرال مارشال رجلا عظيما ومحبوبا من الامريكيين وهو الذى وصفه ترومان بانه النموذج المثالى للقائد الامريكى . فقد خدم الجنرال مارشال فى الجيش عهدا طويلا وكان طوال عمره متزنا محترما يبعث على الثقة ـ يبتعد عن المجادلات السياسية ـ لم تصبه اى شائبة ولم يتعرض لاى نقد . لكن مكارثى لم يهتم بفكرة الناس عن الجنرال مارشال الذى كان يبرر افعاله بقوله مخاطبا المجلس : « اننى اعتقاد لدى الامريكيين » وقد قرر اتهام الرجل بالخيانة بل بالقتل ولم يمض قليل حتى كان ملايين الامريكيين يرددون أكاذيب مكارثى عن الجنرال مارشال الذى كان يبرر أفعاله بقوله مخاطبا المجلس ،« اننى اعرف تماما ان المساس برجل اعتبره الناس فى جميع الازمات بطلا شىء غير محبوب وغير لائق ، وانا نفسى أكره ان اقوم بهذا العمل ولكننى أشعر أن من واجبى .. » ومضى فى حديثه عن استراتيجية الحلفاء فى أوروبا عامى ١٩٤٢ ، ١٩٤٣ عندما كان الجنرال مارشال قائدا عاما .

ولاول وهلة بدا ان الخطاب عبارة عن دراسة للاستراتيجية العليا للحلفاء مع التركيز على دور الجنرال مارشال دون أن يهاجمه هجوما مباشرا . وكان واضحا ان هذا الخطاب لم يكن من اعداد مكارثى أو احد من مكتبه ، فبعد ان تلقى مكارثى تهنئة السناتور وليم لانجر من شمالى داكوتا على أعظم خطبة قيلت فى قاعة هذا المجلس صرح بقوله : « اننى اشكر الهيئة التى تعمل معى ، اننى احبهم فقد عملوا ثمانى ساعات وعشرا بل وعشرين ساعة فى اليوم لاعداد تلك الوثيقة .

ولم تكن هذه سوى كذبة اخرى اضافها لاكاذيبه العديدة السابقة لان الخطبة كانت من اعداد طالب جامعى او عدة طلبة يدرسون التاريخ الدبلوماسى والاستراتيجى ويعرفون مصطلحاته وتعبيراته . فليس من المعقول ان يكتب مكارثى او أى من مساعديه كلاما مثل هذا » .

« ان هذا يجعلنى اتذكر قولا عاقلا متزنا يتصل بموضوعنا الليلة وهو قول اوكسنستيرن المستشار السويدى الاول لابنه الذى كان يزمع

القيام برحلة فى أوروبا قال : « اذهب يا بنى لترى بنفسك السخافات التى تحكم البشرية ، قد أكون متاكدا من أن ملاحظات ستالين وقعت فى أذن الجنرال مارشال كصوت من السماء » .

لم يكن حديث مكارثى كله هجوما على الجنرال مارشال ففى احدى فقراته قال : « انا لا ادعى فهم طبيعة وشخصية مارشال ولهذا فاننى أترك هذا الموضوع الى محللى الشخصيات البشرية » وقد أشار مكارثى فى هذا الخطاب الى فريد آتلى التى كانت قد قالت : « ان مارشال أثناء بعثته المشهورة الى الصين وقع تحت سيطرة الدبلوماسى الشيوعى شواين لاى » فيقول مكارثى : « اننى لا أسير وفق تحليل مسز آتلى عن عقلية الجنرال مارشال ولا أستطيع أن اعتبره من ضحايا شواين لاى »

ولا شك أن خطاب مكارثى كان يعبر عن رأى البعض من المؤرخين الذين كانوا يتفقون فى أن السياسة الامريكية على الاقل فى أول ثلاثينات وأول خمسينات هذا القرن قد فشلت لأنها لم تركز عينها اساسا على قوة السوفييت ، لقد كان روزفلت مخطئا عندما اعترف بالاتحادالسوفيتى سنة ١٩٣٣ وكان مخطئا عندما ساعد الروس عام ١٩٤١ وعندما حطم المانيا واليابان تحطيما كليا عام ١٩٤٥ وكان مخطئا عندما دعا الروس فى حرب الباسيفيكى وعندما أصر أن يحارب شيانج كاى شيك اليابانيين أى أنه باختصار كان مخطئا فى كل قراراته الرئيسية . »

لقد كان زعيما المؤرخين الذين لهم هذا الرأى هما شارلس كالين فانسل ، وستنيان يوسونى من جامعة جورج تاون .

ومن المحتمل كثيرا أن يكون خطاب مكارثى هذا قد أعد فى داخل هذه الجامعة أو من بعض مؤيدى وجهة النظر هذه خارجها .

لكن المأخذ الوحيد الذى اخذ على الجنرال مارشال كان فى انه لم يكن مستعدا للقيادة الاستراتيجية والدبلوماسية العالمية ، فلم يكن مثلا يستطيع مثل سير ونستون تشرشل أن يرى أبعد من الصراع المباشر ضد الفاشية وكان لا يمكنه التنبؤ او السعى لصراع ضد الاتحاد السوفييتى والصين الشيوعية وبمعنى آخر انه فى الوقت الذى كان فيه قصير النظر لا يستطيع أن يرى أبعد من موطىء قدمه كان مكارثى يدعى بأنه بعيد النظر .

كانت خطبة مكارثى ضد الجنرال مارشال فى معظمها مجموعة من الحقائق التاريخية اختيرت ونظمت بطريقة مقصودة ولكنها مع ذلك استطاعت تحطيم جورج مارشال وبمعنى آخر قد حرمته فرصة اعطاء معنى لبقية حياته كاسم نظيف ورجل شريف .

وهكذا لم تمض بضعة اشهر على خطبة مكارثى حتى استقال مارشال من وزارة الدفاع سنة ١٩٥٠ وخلفه فيها طوال مدة حكم ترومان روبرت لافيت .

وقال مكارثى : « ان الدماء تلطخ يدى مارشال ، وكان هذا كذبا

وبهتانا ، وقد تلطخت سمعة مارشال فعــلا ، ولم يستطع أى رئيس البلاد ان يخرج جورج مارشال من عزلته فى ليسبرج مما يدل على قوة مكارثى ، القوة التى كان مبعثها هو وليس كلماته .

كان يقول : « ان المارشال على استعداد لان يبيع خبرته لقاء أى مكسب » وقد ظل مكارثى طوال المدة الباقية من حكم ترومان أداة تدمير ولم تكن له فى هذا الوقت سلطة سوى سلطة سيناتور حديث عن ولاية ويسكنسن ومع ذلك فقد وجد فى نفســـه الشجاعة كى يتهم ويلــوم ويدمر وينزل من قدر رجال عظماء مثل جنرال مارشال :

واصبح مكارثى محط انظار منظمات الحزب الجمهورى كل منها تحاول أن تجذبه ومعه وتالقه لاكتشاف خونة آخرين ، ووصلته تاييدات من اماكن كثيرة ومن افراد يحتلون مناصب رفيعة مثل روبرت تامت الذى قال : « من رايى ان السياسة المؤيدة للشيوعية والتى تتبعهـــا وزارة الخارجية تؤيد الحــاجة التى اعلنـــها مكـــارثى الى الفحص والمراقبة » .

ولا يعنى هذا انه لم يكن لمكارثى معارضون داخل المجلس نفسه ففى عام ١٩٥٠ اصدرت السناورة مارجريت تشاز سميث من بلدة مين بيانا نسد مكارثى عرف فيما بعد « باعلان الضمير » وقد وقع البيان معهـــا ادوارد تاى من ولايه ميتسوتا ، وســـاين مورس من آوريجون وجورج ايكن من فيرمونت ودارتنـــج ايفز من نيـــويورك ، وروبرت هندريكسون من نيوجرسى ، وعلى الرغم من انهم لم يذكروا اســـمه صراحه فى هـــذا البيـــان فانه كان من الواضح انه دون غيره وجاء فى البيان : ــ

« لقد استطاعت عناصر معينة فى الحزب الجمـــهورى اشـــاعة الاضطراب فى البلاد بطريق الانانية السياسية والاستغلال والخـــوف والجهل وعدم الاعتدال والتعصب . وقد حان الوقت الذى يجب علينا فيه الا تقع ضحايا الاساليب الاستبدادية التى ان استمرت فلن تؤدى فى النهاية الا الى انتهاء ما نسميه بالطريقة الامريكية . . »

ومع ذلك استطاع مكارثى الصـــمود والارتفاع ، فما ان اتى عام ١٩٥٢ حتى كان قد اخذ جزءا معينا من برنامج الانفاق الجمهورى الذى كان يراسه وكانت هذه فرصة مكارثى ليكشف عن الخـــونة والمتآمرين داخل الحكومة .

كما انه اغتنم هذه الفرصة ايضـــا وصرح بان : « دوجلاس ماك آرثر ــ اعظم امريكى ولد فى هذه البلاد ، وانه لشىء يدعو لليأس والأسى ان تذهب الزوجات والامهات الامريكيات الى الظلام واليأس لا بسبب حرب بداها ترومان لاغراض الدعاية وقال ان عنـــده وثائق تثبت ان الحكومة لا زالت مليئة بالشيوعيين .

وبعد ترشيح ايزنهاور كان مكارثى اول من زاره فى مقره بفندق بلاك ستون وعندما ساله احد الصحفيين عن الاحوال العـــامة قال : « اننى اعتقد أن دين نكســون سيكون أفضل نائب لرئيس الجمهورية »

ومضى فى طريقه ليواصل الدعاية الانتخابية له ولايزنهاور والتف حوله بعض الجمهوريين وطلبوا منه ان يهاجم ادلاى ستيفنسون فى التليفزيون فقام بهذه المهمة خير قيام بواسطة خطبة بداها بقوله : « ان الجير واعنى ادلاى .... » واستطرد قائلا :

« ... سأتكلم الليلة عن تاريخ مرشح ديمقراطى مهمته أن يواصل سياسة الكرملين فى بلادنا » وكان ستيفنسون ــ كسياسى وحزبى ــ لايمكن انزال الضرر به كالجنرال مارشال ، ذا صفحة بيضاء مشرقة ، وقد تأثر ستيفنسون دون شك من خطبة مكارثى وكان أسوأ ما فيها أنها كانت مؤيدة من أشخاص لهم نفوذ فى البلاد وفى الحزب الذى كان يسيطر على الحكومة .

وفى نهاية سنة ١٩٥٢ اخذت اللجنة الفرعية للامتيازات والانتخابات فى واشنجتن فى بحث رصيد وشيكات مكارثى فى البنك : كانت ايداعات مساعده راى كيرماس قد وصلت الى ٩٦٩٢,١١٨ دولارا . وقد تساءلت اللجنــــه عن العشرة آلاف دولار التى تقاضـــاها من مؤسســة لســترون وعن علاقته التى يعرفها الجمـــيع مع شركة البيبسى كولا وشركة الخطوط الجوية والبحرية . وقد استغرقت أعمال هذه اللجنة عاما بأكمله لم يستطع فيه أحد من رؤسائها الثلاثة الذين تعاقبوا عليها أن يستدعى مكارثى لاخذ أقواله فى اتهامات السناتور بنتون والتى كانت سبب انعقاد هذه اللجنة .

وكانت كل علاقات مكارثى بهذه اللجنة تنحصر فى بعض المراسلات وقد كتب ذات مرة الى جاى جيليت من ايوا يقـــول : « بصراحة لا أنوى قراءة الاتهـــامات الحقيرة التى وجهها الى بنتون كما اننى لا أنوى مجرد الرد عليها » وهكذا لم تصدر اللجنة أى طلب ليمثـــل امامها حتى لا توصف بمجافاة الذوق .

وبعد انتهاء أعمال اللجنة أصدرت اللجنة تقريرا وصفه مكارثى : « بأنه جديد وتنقصه الامانة ويتسم بالحقارة » . وبعد صدور هـــذا التقرير بأيام قليلة عين صديقه وليام جيز رئيسا لهذه اللجنة وسرعان ما اختفى التقرير . وفى تلك الفترة أعيد انتخـــاب مكارثى عن ولاية ويسكنسن بسهولة تامة فقـــام بجولة مع ايزنهاور فى أنحاء الدولة . وكان أيزنهاور قد صرح بأنه كالسناتور يؤيد تصفية الشيوعيين والقضاء عليهم .

وفى ١٩٥٣/١/٩ قدم السناتور جون ماكليلان الذى سيؤدى دورا كبيرا فى المرحلة التالية من عهد مكارثى . قدم تقريرا بوصفه رئيسا للجنة مجلس الشيوخ الخاصة بالاعمال الحكومية فى المجلس الثانى والثمانين تقريرا عقيما يصف عمل اللجنة بخصوص اقتراحات اعادة تنظيم مكتب الجمارك ، وادارة الاطباء البيطريين وسائر الموضوعات التى قامت بهـــا اللجنة . وقد تعرض التقرير لعمل اللجنة الفرعية الدائمة للتحريات التى يرأسها السناتور كلايدر هوى من ولاية كارولينا الشـــمالية وكان هوى قد قام ببعض التحريات عن عمل بعض أعضاء حكومة ترومان فى أيامهـــا الأخيرة .

فى هذا الوقت كان مكارثى قد عين رئيسا للجنة الاعمال الحكومية فى المجلس الثالث والثمانين ، وبعـــد الانتخابات أعلن انه سيأخذ على عاتقه مهمة تصفية «الفوضى والفساد» . وقد اعتقد رجال ايزنهاور ورجال الحزب الجمهورى أن هذا يعنى معاودة النظر فى وضع بضعة آلاف موظف عينهم ترومان اثناء حكمه ، وأعلن مكارثى انه يشعر ان مثل هذا الموضوع من سلطة الجهة التنفيذية ، وأنه سينظر فيه على الفور بدون تأخـــير وما لبثت لجنة النشاط المعادى لامريكا ولجنة مجلس الشيوخ الخاصة بالأمن الداخلى ، أن بدأتا اعمالهما .

وبعد الانتخابات بيوم واحد صرح مكارثى لجريدة سكريبس هوارد بانه ينوى تخطيط « دور مختلف تماما لنفسه » لقد تغيرت الصـــورة تماما ـ يجب علينا الآن أن نقوم قومة رجل واحد لنكشف عن الشيوعيه داخل الحكومة وعندنا الآن رئيس جديد سيقود بنفسه هذه المعركة » .

وبعد مضى شهر تغيرت لهجته فقال « : الى الآن لم نقم الا بخدش وجه الشيوعيين » ووعد بأنه لن يألو جهدا فى هذا العمل .

ولعل أبرز سبب لتعيين مكارثى رئيسا للجنة الاعمال الحكومية محاولة ابعاده عن الفتنة التى اشعلها . وكما يقول تافت : « ان عمله فى هذه اللجنة سيجعله يقضى ايامه يدرس التقارير المقدمة من المكتب العام للحسابات ويترك الصراع الداخلى الى جينر الرئيس الجديد للجنة الأمن الداخلى وهارولد فيلد رئيس لجنة النشاط المعادى لأمريكا .

قال الجمهوريون : « لقد وضعنا مكارثى فى عمـــل لا يستطيع أن يؤذى فيه أحدا » .

ولكن تافت الذى مات بعد ستة أشهر ، وايزنهـــاور كانا حسنى الظن جدا عندما اعتقدا أن مكارثى ، وهو الرجل الذى عرفه الناس فى كل مكان وتحدثوا عنه بجميع اللغات ، سيقتنع بالعمل الذى وكل اليه ولكن لم يكن من المعقول ان يخاف مكارثى من سلطات ايزنهاور وتافت وهو الذى ارتفع للقمة بدون معاونة ايهما . لقـــد مضى على ظهوره ستة اعوام كاملة استطاع فيها أن يقهر اعداءه وبخاصة محاولة بنتون لطرده من مجلس الشيوخ .

وتلفت مكارثى حوله فوجد فرصة فى اللجنـــة الفرعية الدائمة للتحريات الملحقة بلجنته (الاعمال الحكومية) . فالتحريات كلمة مرنة ويمكن أن يتحرى عن أى شىء .

وكان أول ما فعله هو تنصيب نفسه رئيسا لهذه اللجنـة الفرعية وأغفل ببســـاطة مسئوليات اللجنة الاصلية ويمكننـــا القول انه أغفل مسئوليات اللجنة الفرعية وركز اهتمامه على ماكان سبب شهرته ومبعث ذيوع اسمه .

وقبل انقضاء شهر على حكومة ايزنهاور ، وعلى انعقـــاد المجلس الجديد ، وتســـلم جون فوستر دالاس منصبه كوزير للخارجية ، كان مكارثى قد عاود حديثه عن وزارة الخارجية وما يحدث بين جوانبهـــا

واستعان باثنين من الموظفين المشتغلين فى الارشيف • وقد شهد هذان الموظفان أمام اللجنة الفرعية بأن تقارير الوزارة ناقصة بعد ان سحب منها كل ما يشير الى الشيوعية والشذوذ الجنسى واصبح التساؤل فى جميع الاوساط عما سيفعله دالاس فى الوزارة بعد تسلمه مهام منصبه وخاصة بعد تزوير الملفات • ومما لاشك فيه أن دلاس كان سيحتاج لمعاونة احد وكان هناك شخص واحد معروف على استعداد لمعاونته •

وهكذا استطاع مكارثى أن ينفذ من الزجاجة المغلقة التى وضعه فيها تافت وكأنه مارد أو جان تخلص من القمقم الذى كان محبوسا بداخله •

وبات معروفا أن حكومةايزنهاور ستواجه مكارثى وجها لوجه وعليها ان تصمد أمامه ، وحتى عام ١٩٥٣ كان مكارثى شخصا مستقلا فى عمله ، فما قام به بنفسه ولنفسه فقط ، فلم يكن له مساعدون يعتمد عليهم حقيقة • ولكن الحياة أصبحت أكثر تعقيدا عام ١٩٥٣ فقام بتكوين هيئة للعمل معه نذكر من بين افرادها روى م • كوهين الذى عينه المستشار الأول للجنة الفرعية ، ج • دافيد شاين ، وقد انفرد هذان المساعدان بمعظم أعمال اللجنة وكانا السبب فى ضياع مكارثى فى خلال سنة واحدة فيما بعد •

كان كوهن ابن قاض يهودى ديمقراطى ممن كانت له سلطة فى ولاية برونكسى ، فتعلم تعليما راقيا فى نيويورك فى مدرسة فيلدستون ثم فى أكاديمية هوراس مان بجامعة كولومبيا ثم فى كلية الحقوق •

وما أن بلغ عامه الواحد والعشرين حتى التحق بنيابة الولايات المتحدة بنيويورك ، ولم يمض قليل حتى كان قد التحق بعمل آخر وهو محاربة الشيوعية •

ولقد كان لهذا الشخص يد كبيرة فى ارسال جوليوس واثيل روز نبرج الى الكرسى الكهربائى بتهمة سرقة الاسرار الذرية ، كما كان له ضلع كبير فى سجن ثلاثة عشر شيوعيا بتهمة محاولة قلب الحكومة •

اما شاين فقد نشأ فى عائلة ثرية اذ كانت عائلته تملك فنادق شاين المعروفة وعددا من المسارح • لذلك كان تعليمه على التوالى فى مدرسة فيلبيس آندوفر ثم جامعة هارفارد حيث اشتهر بعربته الكاديلاك التى تحتوى على خطين تليفونيين • ومما رشح شاين للعمل مع كوهين هو عمل قام به يسمى « تعريف الشيوعية » وهو دراسة من ست صفحات تحمل شارة فنادق شاين وتباع بها ، وموضوعها « الثورة السوفيتية وتكوين الحزب الشيوعى وبدء برنامج السنوات الخمس الأول» •

وقد أخطأ شاين فى اسم لينين وخلط بين كل من ستالين وتروتسكى ، وماركس ولينين ، والكسندر كيرتسكى كما خلط بين أرض الاحلام أو اليوتوبيا التى ظهرت فى القرن الخامس عشر وشيوعية القرن العشرين وكان الحصول على نسخة من هذه الدراسة متوافرا فى فنادق شاين الذى تعين فيها مديرا عاما لجميع الفروع من ميامى حتى هوليود • وكان كوهين هو الذى ينظر فى الامور ويدرسها • وقد أثار اللجنة الفرعية من أجل

القيام بتحقيق فى اذاعة صوت امريكا التى كانت معقـــلا فيما بعد ومن الممكن ان تكون موطن حركة سرية أمريكية ٠

ومنذ تحقيقات تيونجز كان مكارثى يعتمد على شبكة من الوطنيين العاديين داخل الحكومة يمدونه بالمعلومات ٠ ففى خطـــابه أمام مجلس الشيوخ فى ١٩٥٠/٢/٢٠ عندما تعرض للقضية الاحدى والثمانين قال : « لو لم يكن هنـــاك أمريكيون مخلصون فى وزارة الخارجيـــة ما كنـــت قد استطعت ان أقدم هذه الصورة للمجلس الليلة » ووقف مكارثى موقف التحدى كما كان سنة ١٩٥٤ لاخفاء اسماء هؤلاء الاشـــخاص ٠ وقال : « ان وزارةالخارجية حاولتالتستر على هؤلاء الذين كانت أعمالهم لاتساوى شيئا اذا نشرت اسماؤهم » ٠

وبعد أن ازداد نفوذ مكارثى ، حصل على المعلومات ، فقد كان بعض الناس فى مكتب التحقيقات الفيدارلى يتصلون به مرارا كما كان هنالك آخرون يمدونه بمعلومات منمكاتبهم بوزارة الخارجية وغيرها من الوزارات الأخرى ٠

ولم تصبح الحكومة (المرتع الدموى) وهو الوصف الذى أطلقه عليها ســـتيوارت سيمنجتون ســـنة ١٩٥٣ ٠ وكانت محطة صـــوت أمريكا هى المكان الذى نظمت فيه الحركة السرية ومارست نشاطها منه ٠ ففى مكاتبها بنيويورك ، قيل ان هنالك ثلاثين عضوا عاملا، وكان أول ما قام به كوهين وشاين هو الانتقال لنيويورك حيث أقام شاين فى والدورف تاورز ٠

وهناك اجتمع الاثنان باعضاء الحركة السرية وهناك ايضا حققا مع الاشخاص الذين اشارت اليهم الحركة السرية ٠ وعن طريق هـــذه الحركة حصلت هذه الجماعة على معلومات تافهة بطريقة أشبه بالمخابرات ٠

وتضمنت المعلومات تفاصيل تافهة عن ميول بعض الاشخاص وما يفضلونه ويبغضونه تم عن تنقلاتهم ٠ وفى عام ١٩٥٣ استطاع كوهين بتشجيع من شاين ان يهيمن على اللجنة الفرعية ، وكانت لهما هيئة كبيرة تشكلت على النحو التالى : ــ

كوهين وشاين يرأسان الهيئة ، ويرأسهما مكارثى ٠

وانتهت التحريات عن صوت أمريكا فى مارس سنة ١٩٥٣ دون أن تفضى الى شىء وكانت معظم التحريات التى قام بها كوهين وشاين بعـــد مقابلة عدد من الناس ليست الا معلومات غاية فى التفاهة والحقارة، مثل مستر « أ » لا يحب الكتاب الذى يفضله أعداء الشيوعية ، ومسن ب ٠ لم تتزوج منمستر جـ الذى تعيش واياه فى مســكن واحد ، ومستر د يتبع مذهب حرية التفكير فى المسائل الدينية ، ومستر هـ ٠ برغم انه يهاجم ستالين يوميا ويقول كما يقول اعداء الشيوعية فانه كان شيوعيا فى سنة ١٩٢٩ ومن المحتمل ان يكون قد ظل مخلصا لمبادئه القديمة ٠

وفجاة ذهب كل من كوهين وشاينلباريس يوم ١٩٥٣/٤/٤ للقيام بمغامرة تاريخية وان كانت قد احرجت ادارة المعلومات العـــالمية وكل السفارات الأمريكية فى غرب أوروبا ٠

وقد سخر العالم الأوروبي من هذه الرحلة التي قام بها شابان أمريكيان ينتميان لبلد له شانه ومركزه العالمي بقصد تطهير حكومة بلادهما واستمرت اقامتهما في باريس أربعين ساعة ذهبا بعـدها الى بون ومكثا فيها ١٦ ساعة ثم انتقلا لفرانكفورت لمدة ١٩ ساعة ثم الى ميونخ لمدة ١٦ ساعة ، ثم الى فينا لمدة ٤١ ساعة ثم الى بلغراد لمدة ٢٣ ساعة ثم الى أثينا لمدة ٢٤ ساعة ثم الى روما لمدة ٢٠ ساعة وأخيرا الى لنــدن لمدة ست ساعات .

وكان سبب تلك الجولة كما أعلن في ذلك الوقت ، مراجعة الكتب الموجودة بمكتبات السفارات والوكالات الامريكية في تلك البلدان ، وعلى كل حال لم يعرف الناس السبب الحقيقي لتلك الجولة ، فمضى كل يتكهن ويخمن كما يحلو له . أما كوهين وشاين فقد صرحا في بون بأنهمـا يبحثان عن مدمرين وخونة ، وبعد أن عادا الى بلادهما صرح كوهين بأنه ذهب « ليرعى » بعض الاشياء .

وعندما كانا في روما ظهرت رواية جديدة ، ذلك ان مكارثي كان قد أعلن للصحفيين انهما أرسلا الى الخارج ليضعا تقريرا عن الاموال التي انفقها ترومان على موظفيه في أوروبا .

ولكن كوهين لم يكن يعرف شيئا عن هذا الموضوع فقد قال : « اننا لم نسمع شيئا عن هذا الامر ولـكن اذا قال رئيس لجنتنا شيئا . فانه صادق فيما يقول » .

والحقيقة ان هذه الرحلة لم يكن لها أية أهمية على الاطلاق ، فالنجاح الذي ربما تكون قد حققته كان من الممكن تحقيقه بدون سفر ولا شك ان المكتبات نظمت نفسها على حسب ما أراد المسئولون عنها عنـدما علموا بزيارة الثنائي المشهور كوهين وشاين ، وما بقى بعد ذلك لم يكن ليثير الاهتمام .

واستعان كوهين وشاين في رحلتهما هـذه بسيدة تدعى هيدى ما سنج ، وكانت من قبـل زوجة جاسوس شيوعي في واشنجتن ، ليعرفا منها ملاحظاتها عن موظفي الحـكومة الامريكية في أوروبا . كما استعانا بسياسي الماني عاطل يدعى هرمان أوفر — اشتهر عنه انه قد أخذ من احدى شركات البترول ٢٢٫٠٠٠ مارك ليؤيدها ويصوت معهـا على زيادة أسعار الجازولين — ليخبرهما أيضا عن الموظفين الامريكيين في المانيا (وقد أعلن أوفر فيما بعد انعمله الرئيسي كان تحضيرمذكرة بالموضوعات التي تكتب ضد مكارثي في الجرائد الالمانية والتي قد تكون مؤيدة له وممولة من بعض الامريكيين) .

وقد كانت تصرفات الشابين أثناء زيارتهما مثار تقولات كثيرة فقد كان يتابعهما كثير من الصحفيين . كـانا يطلبان مثلا في الفنادق التي ينزلان فيها حجرات متصلة ببعضها البعض ولكنهما كانا يصران على أن تكون الملحقات منفصلة ، وكانا يقولان تفسيرا لهذا الطلب :

« اننا لا نعمل لحساب وزارة الخارجية » وعندما وصلا الى فينا قادمين

من ميونخ مساء يوم الجمعة ١٠ ابريل ، كانت هيدى ماسانج فى انتظارهما ففاجأها كوهن بقوله الى اللقاء يا هيد .. اذا حدث شيء فاتصلى بجو » وبقينا فى فينا طوال السبت وغادراها ظهر الاحد ، وكان كل مافعلاه فيها هو قضاء ثلاث ساعات ونصف ساعة فى التحريات والمجادلة مع موظفى الحكومة وساعتين ونصف ساعة فى المؤتمرات الصحفية حيث أنكر كوهن أن شاين ضربه ذات مرة على راسه وقال : ـ

« ان ذلك مجموعة من الاكاذيب » ثم مضى يتكلم كلاما روتينيا عن استفساراتهم مع الاشارة بصفه خاصة الى زيارتهما للنمسا التى لم يحصلا فيها على أية تقارير تثبت الخيانة الامريكية فى هذه البلاد ، وقد قابلا بطبيعة الحال السفير الامريكى ودامت مقابلته عشرين دقيقة فقط ، ذهبا بعدها للسوق لشراء بعض اللوازم ، فاشترى شاين سيجارا من نوع غريب ليضعه فى متحف سجائره وعادا ليتناولا غداءهما مع بعض المسئولين الامريكيين ، وعادا بعد ذلك للفندق ليستعدا لزيارة مركز الاستعلامات السوفييتى .

وقد وجد شاين وكوهن بعض اسماء لكتاب أمريكيين فى كتالوج مكتبة المركز السوفييتى نذكر منهم ، : أجنس سميدلى ، ثيودور دريزر ومارك توين . ولم تستغرق مراجعة الكتب أكثر من ثلاثين دقيقة عقد بعدها المؤتمر الصحفى الثانى لهما . وفى هذا المؤتمر سالهما الصحفيون كيف ان الجهل بالموضوع مع نصف ساعة من التحريات قد امكنهما من معرفة أعمال حكومتهم فى فينا فاجابا بانهما يربطان ما يحصلان عليه من معلومات مع بيانات اخرى يتحصلون عليها من مصادر نمساوية موثوق بها .. ولم تستطع الصحافة أن تعرف كنه هذه المصادر النمساوية فتساءل كثير من الصحفيين وكبار المعلقين عن هؤلاء النمساويين الذين يساعدونهما على حين ان كل من زارهما هو صحفى المانى واحد .

ولم يمض يومان بعد ذلك حتى طارا عائدين الى مكارثى وكان ضحية كوهن وشاين فى هذه الزياره شخص يدعى تيودور كاجان وكان ضابطا فى الشئون العامة فى الهيئة الامريكية العليا بالمانيا قال عنه أحد الشهود فى قضية صوت أمريكا أنه فى الثلاثينات من هذا القرن كان يسكن شقة فى نيويورك مع أحد الشيوعيين وكان من الممكن أن يصمد مكارثى أمام هذه الافتراءات لو لم يصف كوهن وشاين أمام الصحفيين بأنهما مجرد آلات لاقيمة لهما ، وكان من الممكن أن يزول هذا كله لولا أن خجل وغضب موظفى الحكومة الذين شهدوا الموضوع كله هو الذى زلزل الكيان الامريكى فى أوروبا وقد اجتمعت بعديد من الناس فى عواصم أوروبا أخبرونى بأن استقالاتهم كانت مكتوبة ومعدة للارسال . وكان آخرون يريدون الاستقالة ومنتظرين تدبير عمل لهم أو اتخاذ الترتيبات اللازمة لترحيل عائلاتهم . ولا يوجد من يستطيع تحديد عدد هؤلاء الاشخاص الذين يرجع رحيلهم الى هذه المسألة ، كما لا يوجد من يستطيع تقدير أثر ذلك على القوة المعنوية لهؤلاء الناس ، فقد انحطت هذه القوة بحيث ادهشنى ان أجد رغبة بين بعض الناس للتنديد بمكارثى بصورة عنيفة والسخرية بكوهن وشاين . وكان هذا يثير غضب واشنطن آنذاك ، وقد علمت ان كثيرين من الناس لا يهتمون سواء بقى هؤلاء الناس فى أعمالهم أولا .

نعود للحديث عن رحلة شاين وكوسن نبعد ستة أشهر من عملهما معا وبعد شهرين من عودتهما من أوروبا عرف شاين ان جيش الولايات المتحدة الامريكية فى حاجة الى خدمات وكان ذلك فى أوائل يوليو ٠

وفى ابريل التالى انصب اهتمام أمريكا على تحقيق دار حول جهود شـاين فى خدمة بلاده بطرق أخرى وفى مهمـات كلفه بها آخرون مثـل مكارثى وكوهن وروبرت ستيفنسن وزير الجيش ، ولم يكن مكارثى راضيا عن ذلك بل انه يمكن القول ان مكارثى لم يكن مستريحا تماما الى شاين رغم ضمه الى حاشيته ٠

أما كوهن فكان يميل اليه ٠ قال لروبرت ستيفنسن ذات مرة وكانا يتحدثان تليفونيا : « اننى أطلب منك خدمة شخصية ٠٠ أرجوك ألا تكلف شاين بأى خدمة ٠٠ انه شاب لطيف ولكننى اعتقد أن كوهن مخطىء فى اختياره للعمل معه «وقال عنه ذات مرة انه من أكبر الخبراء فى الشيوعية، وذلك ما كان يقوله مكارثى عن كثير من الناس ٠

والثابت أن مكارثى مع ذلك لم ينـاقش كوهن فى أمر شاين ، ومضى كوهن فأخذ يمهـد الطريق أمام شاين بينما يضع العراقيل أمام الجيش وقواده والحقيقة ان ولاء كوهن لشاين وولاء مكارثى لكوهن همـا اللذان أديا الى سقوط مكارثى ونهايته ٠

وفى أواخر ربيع سنة ١٩٥٤ كتب مايكل سترايت تقرير أذيع فى التليفزيون عن موضوع محادثات مكارثى والجيش جاء فيـه « دارت فى واشنجتن أخيرا دراما عجيبة ، لم يحدث مثلها فى التاريخ الحديث ، دراما أطلق عليها اجتماعات مكارثى والجيش » ، ومن المؤسف حقا ان هـذه الاجتماعات تمثل مهزلة لم يحدث مثلها أبدا فى تاريخ أمريكا ، وقد استمرت هذه الاذاعات ١٨٧ ساعة فى التليفزيون ورآها على الاقل ٢٠٫٠٠٠٫٠٠٠ مواطن أمريكى ٠

وكان كل من كوهن وشـاين يعتقد أن الجيش قد يستخدم شـاين كمساعد لوزير الجيش ، وطلب شاين من وزير الجيش ان يحذف قضية والدورف تاورز ، وقد ابتهج الوزير شيبل بذلك ٠ وسأل شاين الوزير ستيفنسن عما اذا كان باستطاعته الاجتماع بالسنـاتور مكارثى وهو يجرى تحقيقا عن الجيش فى قاعة المحكمة الفيدرالية فى فولى سكوير ، ورحب ستيفنسون بالفكرة ، ووجه جينكينز الاسئلة التالية الى وزير الجيش ٠

جينكينز : هل لك شيء ما ٠٠٠ فيما يتعلق بالمعـاملة الحسنة التى سيلقاها شاين ؟

ستيفنسن : حسنا ، لقد تباحثت مع شاين فى سيارته ٠

جينكنز : هل يمكن ان تقص على مسامعنا مادار من حديث بينكما ؟

ستيفنسن : لقد دار الحديث حول ما فعلته فى مطاردة الشيوعيين ٠

جينكنز : هل كان هذا الكلام صادرا عنك أم عنه ٠

ستيفنسن : انه كلام شاين .. لقد اعتقد اننى استطيع أن أسير فى هذا الطريق • وقد أخبرنى انه يود أن يمد لى يد المساعدة ـ وذكر انه يعتقد انه من الخير له ان يصبح مساعدا خاصا لى •

جينكنز : أى أكثر خيرا من أن يفعل ماذا ؟

ستيفنسن : أفضل من التحاقه بالجيش •

وبدأ كوهن بعد ذلك يبحث عن عمل لشاين وتولى هذه المهمة رئيس أركان حرب الجيش وايضا وزير الجيش ووزير الدفاع فعين ضابطين برتبة كولونيل لمساعدته فى البحث عن امكانياتذلك ولم تكن الامكانيات متوفرة • وقد سئل الجنرال والتربيدل سمث وكيل الخارجية ومرافق الرئيس العسكرى سابقا عما اذا كان يستطيع التغلب على العقبات التى تحول دون ذلك •

واذا ما عدنا للحديث عن التحقيقات السابقة نجد أن الجمهـور قد تعلق بمشاهدة هذه التحقيقات ، لانها كانت كالقصص المثيرة ، ولم يكن الغرض منها شيئا ماديا فقط ، لقدحازتاعجاب مايربو على٠٠٠ر٠٠٠ر٢٠ نسمة وكانت التحقيقات شاذة فى صورتها ، وبالفعل لم تكن تحقيقات على الاطلاق بالرغم مما تخللها من اجراءات وتولى ادارة التحقيقات كارل مونت من زعماء الحزب الجمهورى بعد مكارثى ـ وكان يوجه المستشارين فى الحصول على المعلومات وقد تولى الشـــهادة من جانب اللجنة الفرعية وان جينكنز مستشار اللجنة الخاص • وانتهت التحقيقات بعد ذلك ، فقد تحولت القاعة الى مرتع للخصومات والمعارك والادلاء بالاعترافات ، أو بمعنى أوضح تحول المسرح الى حقيقة •

ولم تكن التعليقات متعلقة بكوهن وشاين والميجور بيرلس والجنرال زويكر ، ولكن كانت التحقيقات تتطرق الى الاحداث فى ســـيرها • ثم استدعى شاين بعد ذلك وحاول كوهن وشاين الضغط على الجيش غير أن الجيش لم يتقدم بشكاوى • وراح كوهن وشاين يعملان فى لجنـة خاصة بالجنرال مايلز ريبر ضابط الاتصالالتشريعى بالجيش وهو رجل اعتاد استلام المطالب من كابتيول هل • وقد استجوبه مستشار الجيش جوزيف ل • ويلشى •

ويلشى : أكنت تعلمـفعلاـبمركز كوهن كمستشار لهذه اللجنة ؟

ريبر : نعم • يا مستر ويلشى •

ويلشى : هل زاد هذا المركز من اهتمامك بالمشكلة التى تبحثها أو أضعفه ؟

ريبر : اعتقد أنه زاد من اهتمامى بها •

ويلشى : بغض النظر عن النفوذ غير اللائق (الضغط) هل تذكر حادثة تشابه هذه التى تورطت فيها تحت ضغط شديد ؟

ريبر : كلا ، لا اذكر مثل هذه الواقعة التى وقعت فيهـــا تحت ضغط شديد •

وعين شاين فى الجيش وبدأ يمده بما لديه من خبرة ومعلومات عن الشيوعيين وما لبث أن أصبح شاين عضوا فى الفرقة ل • بنورث ديكس فى ولاية نيوجرسى التى يرأسها كابتن جوزيف ميللر •

وقد وصف ميللر المقابلة الاولى مع شاين بقوله : —

« سألنى شاين أو على الاصح اخبرنى انه يعرف شخصا يدعى الكولونيل برادلى وسألنى عما اذا كنت أريد أن أقوم برحلة صغيرة الى فلوريدا •• ولكننى قطعت كلامه قبل ان يتمه ، ولم يكن كابتن ميللر يقدر أهمية شان وانتشرت حول شاين الاقاويل فكان البعض يقول ان لشاين سندا معينا فى واشنجتن ، ذلك لانه يستطيع الحصول على الموافقة لجميع الاجازات التى يطلبها خلال فترة تدريبه الاساسية • وذات يوم وكانت الدنيا تمطر لمح الكابتن ميللر شاين مختبئا فى عربة نقل بينما كانت بقية الفرقة تواصل ضرب النار ، بالرغم من هطول الامطار وتعلل شاين وقتها بأنه كان يدرس بعض القوانين وانه انما يهدف الى اعادة تنظيم الجيش على أسس حديثة •

فلم يلبث كوهن ان سحب شاين من الجيش واعاده للعمل معه فى اللجنة واشتركا معا فى تحقيق قضايا الجنرال زويكر والميجور بيرس وكذا فى مناقشات مكارثى الشهيرة عن الجيش •

وتكاتف مكارثى مع كوهن للانتقام من الجيش ، ومن المعتقد ان الدافع لمكارثى لم يكن الانتقام • فقد كان اهتمامه بشاين جزءا من حاجته الى كوهن • ولكنه كان يحتاج الى انتصارات يومية ، بينما راح كوهن وشاين يعملان معا لتحقيق بعض الانتقادات •

وتطورت الأمور واتسعت هوة الخلاف وشقته بين كل من مكارثى والجيش ، فالجيش يتهم مكارثى بأنه سلك هو واعضاؤه طرقا غير قانونية ولا مشروعة لترقية شاين والانتفاع به على حين اتهم مكارثى الجيش بأنه حجز شاين رهينة ليجبره على ترك تحرياته الخاصة بالجيش •

ولقد زادت الهوة اتساعا بعد حادثة الجنرال زويكر واهانته واجبار ستيفنسن على سحب تصريحه الذى دعا فيه الجنرال الى عدم الانصياع الى طلب مكارثى والذهاب الى اللجنة للرد على الاتهامات الموجهة اليه •

وفى رأيى ان المناقشات التى دارت بين مكارثى والجيش كان لها نتائج ثلاث هى :

اولا — انها أوقفت الى حين اتهامات مكارثى واعماله العدوانية الاخرى ضد الآخرين •

ثانيا — ظهر زيفه وخداعه وعرف كل أمريكى من هو مكارثى وماهو حقيقة الدور الذى كان يقوم به •

ثالثا — ظهرت المعارضة فى ارجاء الكونجرس واستطاع ستيفنسن فى هذه المناقشات ان يحول الحديث الى موضوع شاين .

وقد فطن مكارثى الى ذلك على الفور وسأل ستيفنسن ست‌عشرة مرة عما اذا كان يرغب فى انهاء هذه التحريات مع الجيش وكان‌ستيفنسن يجيبه بقوله : «اننى ارغب فى انهاء تلك التحريات الا اننى بصفتى عضوا فى حكومة ايزنهاور لا يجب أن أنهى عملا من المعروف انه فى صالح الدولة ..

وهكذا كان مكارثى يطالب بانهاء تلك التحريات ولكن ستيفنسن كان يراوغه ويتهرب من الرد المباشر عليه وسنذكر على سبيل المثال محادثة بينهما دارت على النحو التالى :

مكارثى : هل لك ان تخبرنى اذا كنت تريد انهاء هـذه المناقشات عن فورت مونموث ؟

ستيفنسن : اننى فعلا اريد انهاء هذه المناقشات حتى يتمكن الجيش من القيام بنفسه بالتحقيق وان يوقف هذا الفزع الذى ساد فى البلاد بدون داع أو مبرر .

مكارثى : كيف نجحت اخيرا فى ايقاف هذه المناقشات ؟

ستيفنسن : كيف نجحت !!!

مكارثى : نعم لقد اوقفت المناقشات اليوم وسؤالى هو كيف نجحت فى ذلك ؟

ستيفنسن : لا ارى ان المناقشات قد توقفت بعد .

مكارثى : لا تحاول ان تدعى انها لم تتوقف — لقد توقفت عندما ادرت انت أو شخص غيرك الاتهامات ضد كوهن وشاين ، والى انا كذلك .... انه لا داعى للمراوغة .

وكان ذلك صحيحا ، فقد توقفت بالفعل مناقشات فورت مونموث ولكن بعد ان عرفت البلاد بأسرها ان مكارثى عدو لأى نظام معمول به فى امريكا ، وقد ساعدت على تأكيد تلك الفكرة بعض الاحداث التى تلت ذلك ولعل اهمها المناقشة التى دارت بين جوزيف ولشى ومكارثى حول خطاب ارسله ادجار هوفر الى مخابرات ح — ٢ والذى وصل لمكارثى عن طريق احد أعوانه ...

ولشى : سيناتور مكارثى ... عندما مثلت امامنا اظنك عرفت اننا سوف نسألك عن الخطاب ؟

مكارثى : لقد استنتجت ذلك :

ولشى : وفهمت طبعا اننا سنسألك عن الجهة التى حصلت منها على هذا الخطاب ؟

مكارثى : لن اجيب على هذا السؤال .

ولشى : ان القسم الذى اقسمته امامنا معناه وعد بأن تقول الحقيقة .

مكارثى : مستر ولشى .. انك لست اول فرد يريد أن يحاول أن يجعلنى أخون الثقة واعطى اسماء اعوانى ولن تكون أكثر نجاحا ممن سبق ان سألونى هذا السؤال .

ولشى : اننى اسألك فقط : هل ستوفى القسم الذى اقسمته هنا؟ اى انك ستدلى بالحقيقة امام اللجنة .

مكارثى : اننى افهم معنى القسم ياسيدى .

ولشى : شكرا سيدى ... اذن اخبرنا عمن اعطاك هذا الخطاب

مكارثى : جوابى هو لا ولن اخبرك عمن اعطانى هذا الخطاب .

ولشى : هذا يعنى انك لا تقول لنا الحقيقة الكاملة التى اقسمت على الادلاء بها .

مكارثى : يمكنك يا سيدى أن تستمر فى محاولاتك هذه الى يوم القيامة ولكننى لن أعطيك اسماء أعوانى ومن يحتاجون لحمايتى .

ولشى : أين كنت يوم تسلمك الخطاب ؟
مكارثى : لا
ولشى : هل كنت فى واشنجتن ؟
مكارثى : ليس لدى اجابة عن هذا السؤال .
ولشى : هل اطلعت على هذا الخطاب احدا ؟
مكارثى : لا اذكر .
ولشى : من كان أول شخص اطلع عليه ؟
مكارثى : لا اذكر .
ولشى : هل تذكر احدا ممن اطلعتهم على هذا الخطاب ؟
مكارثى : اعتقد أن الخطاب قد حفظ مع أعوانى .
ولشى : حدد اسم من تسلمه من أعوانك ؟
مكارثى : لا أعرف .
ولشى : لا تعرف ؟
مكارثى : لا
ولشى : هل من بينهم كوهن ؟
مكارثى : جائز .
ولشى : هل كان كوهن بينهم أو لا ؟
مكارثى : لقد قلت من الجائز .

لقد اظهرت التحقيقات صورة الشخصية المدمرة وهى صورة أخرى للشاهد العنيد الذى حاول ولشى ان يستجوبه لقد كان مكارثى

مستعليا على القانون برفضه تسمية الاشخاص الذين يمدونه بالمعلومات، كذلك كان متجاهلا للنظم المتبعة وللقواعد والاحترام لقد كان يثير الارتباك والفوضى فى الجلسات متى اراد . قال ذات مرة : « لقد اصابنى التعب والملل من الجلوس مع كثرة تريد مقاطعتى دائما فى اثناء الحديث . وبعد ذلك قاطع مكارثى احد المتكلمين قائلا :

مكارثى : ياسيادة الرئيس ؟

الرئيس موندت : حافظ على النظام .

مكارثى : صف سلوكى كما تشاء ، نظام أو غير نظام ... هل لى الحق عندما يتحدث مستشار وزير الدفاع أو مستشار وزارة الدفاع او المستر ادامز ان اقاطعه لتصحيحه ؟ هل لى الحق فى التصحيح ؟ أو هل اترك بيانا كالذى القاه مستر ولشى دون تصحيح ؟

ومنذ صيف سنة ١٩٥٣ كان ثلاثة من الديمقراطيين فى اللجنة وهم جون ماكلان وستيوارت سيمنجتون وهنرى جاكسون قد رفضوا الاشتراك فى اعمالها ذلك لان مكارثى قد اغتصب اختصاصات اللجنة .

وكانت شكواهم الرئيسية هى ان : مكارثى عين اشخاصا للعمل فى اللجنة بدون استشارة اى منهم . كما انهم صرحوا بأنهم لن يشتركوا فى أى عمل حتى يعدل مكارثى عن طريقته لكنه لم يعدل عنها وفقط أعلن فى أوائل عام ١٩٥٤ انه سيعدل عنها .

ولو كانت هذه اللجنة الفرعية لجنة عادية لكان امتناع الاقلية عن العمل فيها مما يؤثر عليها ولكن اللجنة لم تكن عادية فلقد كانت ، فى هذه الفترة بالذات ، أداة تهديد خطيرة .

ولقد استمرت اللجنة فى التهديد قبل خروج هؤلاء الاعضاء وبعد خروجهم منها ، ومع ذلك فقد كان لانسحاب الديمقراطيين منها أثر لا يمكن اغفاله ففى عام ١٩٥٣ كان الشجاع هو الذى يستطيع ان يعلن معارضته للسناتور مكارثى ، حتى البيت الابيض كان يخافه ويخشاه ويعمل له كل حساب ، ومهما يكن فان انسحاب هؤلاء الثلاثة لم يغير من الامر شيئا ومضى مكارثى فى طريقه الحالك بدون مقاومة ظاهرة .

وكان لا بد من حدوث النهاية بعد الاجتماعات والمناقشات التى كان مكارثى بطلا لها أو وجد الحزب الديمقراطى نفسه ملزما أمام عشرين مليونا بمقاومة ذلك الذى اتهمه بأنه قضى حقبتين من هذا القرن فى الخيانة والذى مضى يحاكم كل فرد من هذا الحزب على حدة ، ووصلت القصة الى ذروتها عن طريق كفاح الروح البشرية .

لقد كان اهتمام الناس كله منصبا على القائمين بالادوار الرئيسية وعلاقة بعضهم بالبعض اكثر من اهتمامهم بالصراع بين الافكار والمنظمات.

أما ماكيلان احد الديمقراطيين الذين امتنعوا عن العمل فى اللجنة الفرعية التى يراسها مكارثى فقد انتهز الفرصة ـ فرصة التحقيق ـ بشأن احد المستندات ـ وتساءل هل من حق اللجنة أن تحصل بالسرية

على مالا تستطيع الحصول عليه بالطريق الرسمى ؟ وأجاب مكارثى بأن ماكيلان يسعى لادخاله فى السجن ، ويجيب ماكيلان عن ذلك ، لا يهمنى ذلك كثيرا فليس هناك من يخافك الآن ســواء كنت خارج الســجن أو داخله . ولم يكن هذا صحيحا ، اذ لم يكن الوقت قد حان بعد لزوال هيبة مكارثى وسلطانه وعلى أية حال فقد أعلن ماكيــلان احتقاره له ، الذى لم ينتشر فى اللجنة الفرعية وحدها بل في مجلس الشيوخ أيضا .

وعندما هاجم مكارثى ستيوارت سيمنجتون ووصفه بالجبن ، نظر سيمنجتون الى باعث الفوضى قائلا : « لقد ذكرت شيئا عن الخــوف أريد أن أعلن من صميم قلبى اننى لا أخافك ولا أقوالك وافعــالك فى أى مكان وفى أى زمان ووقت » .

انتهت جميع مناقشــات مكارثى عن الجيش يوم ٦/١٧ وبعــد شهرين ونصف الشــهر اصدرت اللجنة الفرعيــة اربعة تقــارير قالت الاغلبية من الجمهوريين ان وزارة الجيش فشلت فى اثبات اتهاماتها ضد مكارثى وان مكارثى فشـــل فى تحقيق النظام داخــل هيئته كما أعلن الديمقراطيون ان مكارثى تصرف تصرفات غير لائقة وشجعه على ذلك خوف ستيفنز .

ولم تكن لهذه التقارير اهمية تذكر فقبل ظهورها بل قبل كتابتها بوقت طويل كان واضحا أن هذه المناقشات أسفرت عن وضع جــديد وهو ان مكارثى قد اصيب بهزيمة منكرة وان لم يكن قد انتهى تماما ، ان اللجنة الفرعية لم تعد خاضعة له وملك يديه . كذلك فان تحقيقات فورت مونموث لم توقف فحسب بل انها قتلت فى مهدها .

اما كوهن فلم يكسب صديقا واحدا ، واصبح ابعاده عن واشنجتن امرا مفروغا منــه . وما لبث أن اســتقال فى اغسطس وعاد الى كسب عمله فى نيويورك .

وفى ٣٠ من يوليو ــ بينما كان اعضاء اللجنة يحاولون تقرير رأيهم عن مكارثى والجيش ــ قدم رالف فلاندرز الى مجلس الشيوخ قــرارا سريا مؤسسا على احتقار مكارثى للمجلس واحتقاره للصدق والنــاس ، وتبع مشروع هذا القرار مناقشات هزيلة وفى ٢ من اغسطس صــوت المجلس ٧٥ ضــد ١٢١ طالبا تحقيقا آخــر ، وقد قضى القــرار بتكوين « لجنة اختيار » لبحث الاتهامات الموجهة الى مكارثى على أن تقدم بعد ذلك تقريرا للمجلس . وقد جاء فى هذا القرار أن المطلوب تحقيقه هو :

« ان تصرفات السناتور القــادم من ويسكونسن مستر مكارثى لا تتناسب مع عضوية مجلس الشيوخ بالولايات المتحدة ولا تتفق مــع تقاليد العضوية فى هذا المجلس ، بل انها تسىء الى سمعة المجلس باكمله»

وعلى الفور تشاور نائب الرئيس الامريكى مع زعماء الاغلبية وزعماء الاقلية واختاروا فيما بينهم اعضاء اللجنة المذكورة وتم اختيار الاعضاء على أساس تمثيل مجلس الشيوخ الامريكي لا الولايات أو الاقليم ووقع الاختيار على آرثرف . واتكنز رئيسا للجنة وفرانك كارلسون وفرانسيز

كيس من الحزب الجمهورى ، وأدوين جونســـون وجون سى ستينيس ، وصمويل ارفن من الحزب الديمقراطى . وعندما سمع الناس هـــذه الاسماء قال بعضهم : «ان المجلس القى بالاسد بين بعض حملانه الرقيقة»

ولولا واتكنز رئيس اللجنة لكان من الممكن لمكارثى أن يبتلع هذه اللجنة كما فعل مع سابقاتها . ولكن واتكنز كان متيقنا أن عمله هـــذا سوف يحدد مصير مكارثى . وقد صرح يوم ٣١ من اغسطس فى أول اجتماع عقدته اللجنة « ترغب اللجنة فى أن يكون مفهوما أن القــواعد التى ستتبعها هى من أجل توفير المناقشة العادلة والجو القضائى نظرا لاهمية القضية المعروضة .

وعلى هذا فان هذه اللجنة ستسير وفقا لتقاليد مجلس الشيوخ وذلك باستبعاد جميع الاعمال التى لا يسمح بها المجلس لنفسه فى مثل هذه المناقشة .

وكان واتكنز يعنى بذلك ما يمس وقار المجلس كتدخين السجائر والسيجار والفليون ، وباختصار منع التدخين فى اثناء انعقاد اللجنة ومنع التعرض لموضوعات تتعلق بالدفاع عن الجمهورية وعلاقاتها مع البلدان الاخرى ، ولم يكن هذا متوقعا بطبيعة الحال ولذلك اصبح معظم الدفاع الذى اعــده مكارثى والذى قال فيــه : « ان هـــذه الدولة ومنشآتها معرضان للتدمير بوساطة الشيوعية العــالمية » خــارجا عن الموضوع الرئيسى الذى اجتمعت اللجنة من اجله .

لقد كان المعنى الواضح هو أن أمن الدولة ومايحوطها من أخطار ليسا بالسبب الكافى للقيام باعمال من شــأنها تلطيخ ســمعة مجلس الشيوخ الامريكى بالوحل .

فالكفاح ضد الشيوعية شىء جميل ومرغوب فيــه ولكن لايمكن اتخاذه ستارا لاخفاء وغد لايستحق بافعاله أن يكون سناتورا أمريكيا .

ومع ذلك ومن باب الرحمة سمح واتكنز لمكارثى بقراءة بيـــانه الذى ظهر منه بأن مكارثى كان يحاول جاهدا أن يتجنب توجيه اللوم اليه ، وكان هـــذا هو البيان الاول الذى تواضع فيــه مكارثى لهجــة واسلوبا .

وقال : « هـــذا بالنسبة لى موضوع خطير وهو كذلك بالنســـبة الى الدولة كما اعتقد . لقـــد قمت بواجبى وبدورى فى الحرب ضـــد الشيوعية على اكمل وجــه . لقـــد قيل اننى السبب فى تمزق البـــلاد والحزب ، والحقيقة ان التمزق موجود وربما يكون نشاطى قد ساعد على زيادته . ان المطلوب الآن هو عزلى من المجلس واكون غير صادق اذا وافقت على ان الذين اتهمونى لا يعملون بواقع من دوافع سياسية معينة » وكانت التهم التى ستبحثها اللجنة هى مايلى :

أولا ــ احتقار مجلس الشيوخ وجميع لجانه .

ثانيا ــ تشجيع موظفى الحكومة على خرق القوانين .

ثالثا ــ الحصول على وثائق ومعلومات ليس من حقه الحصول عليها ولا من سلطته استخدامها .

رابعا ــ اهانة زملائه اعضاء مجلس الشيوخ .

خامسا ــ موضوع الجنرال زويكر .

واستعانت اللجنة فى عملها بمستشار خصوصي وهو ، ى ، والاس شادويك عضو سابق فى الكونجرس مهمته قراءة مجلد ضخم عن مكارثى قام هو بجمعه وقد احتوى على كل اهانة وجهها مكارثى لزميل له وكل تعليق نطق به فى الاجتماعات والتحقيقات التى قام بهــا وكل مايتعلق بموضوع الجنرال زويكر . كان شادويك يقرأ هذا المجلد أمام اللجنة وهو منفعل وكانت الحقائق مؤســـة لدرجة أن محــامى مكارثى وهو ادوارد بنيث وليامز قاطع شادويك قائــلا : انه وموكله يريدان بحث صدق وثائق شادويك ومدى صحتها ولكن واتكنز رفض هذا الاقتراح بحجة عدم وجود وقت لذلك . واستمر شادويك فى القراءة حتى بح صوته فاستأنفها بدلا منه مساعد له هو جاى دى فوريا .

كان المحامى وليامز قد وافق على أن يدافع عن مكارثى بعـــد أن أخذ منه تعهدا بعدم الدفاع عن نفسه وبعدم مقاطعة المتحدثين بكلام لايوافق عليه هو وبعدم اهانة أعضاء اللجنة . وكان مكارثى عند وعده فلم يحدث من جانبه مايمس هذا الاتفاق .

وقد قيل فى الدفاع عن مكارثى انه ليس الرجل الاول الذى يسىء استخدام سلطاته والذى يحصل على معلومات ليس من حقه الحصول عليهــا ، فقــد فعل ذلك مثله كثيرون ، مثــل بريســـكوت بوسن من كونيكتيكوت ، وكذلك ادوين جونســـون الذى ذكر أسرارا عن الاسلحة الذرية فى التليفزيون كما انه ليس أول من اهان زملاءه . وكان الفرق بطبيعة الحال بين هؤلاء ومكارثى ان الاخير كان يقوم بهذه الاعمال بصفة مستمرة لا بصفة عارضة أو طارئة بالاضافة الى انه كان يحض موظفى الحكومة على تقديم المعلومات اليه مباشرة سرية كانت أم غير سرية .

وان القول بأن هذا الرجل يشبه هتلر لايقارن بالاهانات البالغة التى وجهها مكارثى لزملائه أعضاء مجلس الشيوخ .

واخيرا وفى النهاية طلبت اللجنة من المجلس اعلان عدم رضائهاعن مكارثى لسببين هما :ــ

أولا ــ احتقاره للجنة الفرعية للامتيــازات والانتخابات منـــذ سنتى ١٩٥٢/٥١ .

ثانيا ــ اهانته للجنرال زويكر عام ١٩٥٤ . وقد أعدت اللجنـــة تقريرا من ٤٠,٠٠٠ كلمة شرحت فيه توصياتها وعجزها عن ايجـــاد سبب آخر غير هذين السببين مما يبرر طرد مكارثى من المجلس .

وتأجلت منــاقشة التقرير بسبب مرض مكارثى وانتقـــاله الى المستشفى وفى ١٩٥٤/١٢/٢ انعقد المجلس وصــوت باغلبية ٦٧ : ٢٢

بالموافقة على تعديل التقرير فرفع منه موضوع زويكر واضيف اليه موضوع اهانة لجنة واتكنز وفيما يلى هذا القرار :

« القرار الخاص بتصرفات سيناتور وسيكونسن مستر مكارثى .

القسم الثانى : عندما كتب السناتور مستر مكارثى الى رئيس فشل فى التعاون مع اللجنة الفرعية للامتيازات والانتخابات التابعة للجنة الادارية والقانونية بمجلس الشيوخ فى تسوية الموضوعات التى تخص هذه اللجنة وتتصل بعمله كسناتور وتعرضه لشرف المجلس وانه بدلا من أن يتعاون مع هذه اللجنة اهان اعضاءها الذين كانوا يحاولون القيام بواجباتهم مما ادى الى اغفال الاجراءات الدستورية للمجلس . وقررنا كذلك ان تصرفات سيناتور ويسكونسن مستر مكارثى تخالف التقاليد المتبعة فى مجلس الشيوخ ولذلك قررنا ادانته .

القسم الثانى : عندما كتب السناتور مستر مكارثى الى رئيس لجنة الامتياز طالبا دراسة الاتهامات التى تستوجب عزله بعد أن اصدرت اللجنة تقريرها وقبل عرض التقرير على المجلس اتهم ثلاثة من اعضاء لجنة الاختيار بانهم خونة . وفى تصريح صحفى يوم ١٣ من نوفمبر سنة ١٩٥٤ صرح بأن رئيس لجنة الاختيار مستر واتكنز جبان بدرجة لم أسمع بها من قبل وانه كان ينتظر أن يخاف واتكنز الاجابةعن الاسئلة ولكنه لم يتوقع أن يكون من الغباء بحيث يصدر بيانه ، واتهم اللجنة بانها تقلد الاساليب الشيوعية وانها شوهت وحذفت الحقائق حتى تحصل على موافقة مجلس الشيوخ على توصياتها .

واستمر مكارثى على عهده لمحاميه بعدم المعارضة والتكلم طيلة الاجتماعات ولكنه لم يستطع الصبر بعد ذلك وانطلق كالثور الهائج ، وبعد التصويت على القرار أعلن نائب الرئيس الامريكى بأن هذا القرار ادان مكارثى ولم يعزله .

الفصل الخامس

الأيام الأخيرة

لم يتعرض مكارثى للعقاب ولكنه انتهى وتلاشى ، فلم يعد خطرا على أحد من الناس كما لم يعد قوة لها شأنها فى سياسة أمريكا . . ويمكن تأكيد ذلك بعد ان أصبح مكارثى حطاما فى المقبرة كما يستدل على ذلك من التاريخ المكتوب للايام الاخيرة ، لقد كان ذلك واضحا لبعض الناس آن ذاك وخاصة لمن كان يعرف مكارثى عن كثب . ومن هؤلاء نائب رئيس الجمهورية نكسون الذى كان على اتصال وثيق بمكارثى نفسه . ولم يستأنف نيكسون دوره كداعية سلام . وقد أشار على رئيس الجمهورية بأن السلم لم يعد ضروريا .

وقد اجتمع نكسون بايزنهاور ذات يوم ليخطره بأن الامر قد انتهى وبعد المقابلة ذكر نكسون للصحفيين بأنه ذكر الرئيس بمثل قديم يقول : لاتوجه ضربة الى ملك الا اذا تيقنت انها ستقضى عليه . ولقد وجهت الضربة الى مكارثى ، ولكنه ظل على قيد الحياة . ورأى نيكسون وآخرون أن يأخذوا من هذه التجربة عظة جديدة .

وفى هذا الامر بعض الصحة ولكنه ليس صحيحا بالفعل . وهذا ليس كذلك فى العالم الحر . حيث لاتوجد سجون كالباستيل أو ماشابه ذلك . والفشل فى احراز النجاح أول مرة أو ثانية أو ثالثة مرة لايقضى على الثائرين . ان المقتالين مصيرهم الموت سواء نجحوا أو فشلوا . وحتى فى روسيا ، فان أعداء القيصرية ضربوا القياصرة والنظام القيصرى عدة مرات قبل أن تكلل جهودهم بالنجاح سنة ١٩١٧ ويبدو بالفعل ، أن الهزيمة عنصر ضرورى للنجاح ، وتمهيدلابد منه لاجل النجاح . ولايوجد زعيم شعبى عظيم ــ ابتداء من هتلر من ناحية حتى غاندى من ناحية أخرى لم يحدث له الفشل والنجاح .

ولايسرد لنا التاريخ حدوث تقدم وازدهار من العدم كما حدث بالنسبة لارتقاء مكارثى للسلطة . لقد كانت هزائم مكارثى شديدة متلاحقة ولكنه على الاقل ظل حرا طليقا وعضوا فى الكونجرس الامريكى وهذا يعنى انه لم يكن أثيرا لدى حكام البلاد .

لقد كان أمامه اربعة أعوام قبل انقضاء مدة انتخابه عن ولاية وسكيسن . وفى انتخابات سنة ١٩٥٤ انتقلت السيطرة على الكونجرس الى أيدى الديمقراطيين وفقد مكارثى رياسة اللجنة التى ظل متمتعا برياستها . ولكنه لم يكن ليلومه حزبه على ذلك ، وكان هربرت لهمان

ورالف فلاندرز قد حاولا قبل بدء الانتخابات سحب رياسة هذه اللجان منه ولكن المجلس رفض .

وبعد الانتخابات تقدم كليفورد كيس من ولاية نيوجرسي بطلب لزعماء الحزب الجمهوري طالبا اقصاء مكارثي عن لجنة الاعمال الحكومية وعن تحريات مجلس الشيوخ .

ولكن الطلب رفض كالمعتاد .

وقد صوت نصف عدد اعضاء المجلس الجمهوريون ، ضد عزل مكارثي ولم يطالب الديمقراطيون بسحب أى امتياز منه .

فلو كان مكارثي قد سقط لاعتبرها الديمقراطيون فرصة سانحة لتعليقه في رقبة الجمهوريين للابد .

كانت مناقشاته الشهيرة مع الجيش قد أثارت ضده عددا كبيرا من الامريكيين ، ولكن معارضتهم لم تكن فاصلة : فقد بقى لمكارثي عدد من المؤيدين .

وكان هؤلاء معجبين به وبمناقشاته مع الجيش . وقد شكل اللفتنانت جنرال جورج سترا تماير لجنة مكونة من عشرة ملايين أمريكي يؤيدون العدالة بزعامة الاميرال جون كروملين وقدمت يوم الاقتراع على عزل مكارثي عريضة احتجاج الى البيت الابيض . موقعا عليها من ١٫٠٠٠٫٨٠٨ نسمة . كما عقدت اللجنة اجتماعا في نيويورك في ١١/٢٩ حضره مايربو على ١٣٫٠٠٠ نسمة وقد مدحت اللجنة مكارثي وأيده كل من الاميرال وليام و . ستاندلي السفير الامريكي السابق لدى الاتحاد السوفييتي ، وكذا ابراكن لي حاكم أوتاه ومسز جريس برسو من جمعية فتيات الثورة الامريكية ، والفن م . أوسلى من الفيلق الامريكي ، وتشاتس نجل مخترع الكهرباء اديسون ، وآخرون . وكونت مدرسة هوتنقيل مظاهرة كان شعارها « هيا بنا الى ويسكنسن » وكان مكارثي في ذلك الوقت يشكو من المرض وكان معه جين مكارثي وروى كوهن الذى صاح في الجماهير البالغ عددهم ١٣٫٠٠٠ أمريكي :

« ان مكارثي ، وانا نرحب بالامريكيين الذى على شاكلتكم من جميع سياسيي العالم » .

وظهر مكارثي بين قومه كعزيز قوم ذل الا انه كان لايزال قويا .

والحقيقة ان مكارثي لم يكن قريبا الى احد في حياته مثل قربه من الناس في مماته ، لقد نشر ذات مرة تقرير عن أيام مكارثي الاخيرة ، تقديرا لشخصيته في مجلة « اسكوير » .

ولعل ما أدهشني هو سيل الخطابات التي وصلتني من الرجال والنساء التي تبين غضبهم ونقمتهم على تلطيخ اسم وسمعة مكارثي . ولقد عبر أصحاب تلك الخطابات عن حبهم وشفقتهم على هذا الرجل . وكان تعليق لاروس فوكولد هو : هنالك أبطال للشر كما للخير أبطال . وكان مكارثي بطلا وربما كان البطل الوحيد بعد فرانكلين روزفلت » .

انتهى مكارثى عام ١٩٥٤ لا لانه اثخن بجراح لم يستطع البرء منها ولكن لانه أصيب بجراح ليس لمثله هو بالذات أن ينجو منها ، وهى فقده القدرة على التأثير فى هيبة المجلس وظهور البيت الابيض الامريكى كقوة لايستهان بها .

فقد صوت سبعة وستون عضـوا أو الثلثان آن ذاك على قـرار اللوم فى نهاية عام بدء ظهور المعارضة من جانب شخص واحد هو وليام فوليرايت .

وبعد ستة اشهر ، عندما اقترح مكارثى آخر اقتراح باسـمه ـ وكان محاولة لاحراج رئيس الجمهورية فى مؤتمر جنيف بالاصرار على توجيه سؤال عن حرية الدول التابعة لروسيا ـ رفض هـذا الاقتراح بسبعة وسبعين صوتا مقابل اربعة . وكانت الاقتراحات أو القضـايا التى يقيدها مكارثى تناقش تبعا لاهميتها بغض النظر عمن تقدم بها .

فبعد ان صدر قرار اللوم استدعى ايزنهاور ارثر واتكنز رئيس لجنة الاختيار وهنأه على العمل المجيد الذى قام به لقد كان ذلك جراة من ايزنهاور لاتعرف أية حدود .

وما لبث أن شـــاع خبر جديد وانتشر عن طريق مارى جين ماك كافرى سـكرتيرة ايزنهاور ومؤدى هـذا الخبـر أن اسمى مسـتر ومسز مكارثى قـد رفعا من قائمة زوار البيت الابيض وبذلك لن يمكنا بعد يناير سنة ١٩٥٥ من حضور أية حفلات أو استقبالات رسـمية . وكانت هذه لطمة قصمت ظهر مكارثى ومالبث أن تضاءل نفوذ مكارثى الى درجة كبيرة جدا ، فبعد أن كان يرشح اناسا لشغل مناصب هامة فى وزارة الخارجية أو فى الجيش لم يعد يستطيع تعيين احد فى وزارة البريد . فقـد اقترح تعيين توماس ميلو كرئيس لبريد ابلتون وارثر سومرفيلد كمدير عام للبريد فقيل له ان ميلر ليس أهلا لهـذا المنصب لأنه كان مقامرا وسكيرا فى الماضى . وعندما حاول مكارثى اثارة المجلس ضد تعيين بول هوفمان فى الجمعية العمومية للامم المتحـدة لم يبـال ايزنهاور الذى كان قد اعلن عام ١٩٥٣ بأنه لن يعين أحدا ضد رغبـة مكارثى وقبل الرجوع اليه .

وعندما سـأل المعلقون السـياسيون جيمس هاجـرتى المتحدث الرسمى عن البيت الابيض الامريكى هل ايزنهاور قد اطلع على اعتراض مكارثى على تعيين هوفمان أجاب هاجرتى نعم لقد اطلعنا عليه . واتضح الموقف على صورته الحقيقية ... ذلك ان مكارثى اصبح يعانى بعض الصعوبات مع السلطة الدستورية فى البلاد ، وهكذا انهار مكارثى ولم يكن يعلم مايخفيه له المستقبل . ولقد حاول مكارثى فى خلال السنتين ونصف السنة التى بقيت من عمره عدة محاولات للرجوع الى سـابق عهده ولكنها جميعا باءت بالفشل ، اذ انه كان كلما حـاول التكلم فى أى موضوع مثل اطلاق السياسة الخارجية فى يد دوجلاس ماك ارثر كان معظم زملائه فى المجلس يغادرون اماكنهم لغرفة التدخين .

وكان ريتشارد نيكسون يدعو سناتورا للحـلول محـله كما كان

ليندون جونسون زعيم الاغلبية الجديد يترك مكان لاحد الشباب الديمقراطيين . وعندما كان يعلن عن خطبة مكارثى كان الملقون السياسيون والصحفيون يشغلون عنه بالحديث او بأى شىء آخر . وكان يرى بين حين وآخر فى طريقه للمجلس وحيدا بدون حارس وبدون صحبة كوهن ولم يكن يهرع اليه احد ممن كانوا يقفون فى انتظاره ، وتجاهله الصحفيون ، ولم يبق معه سوى راى كيرماز الذى رافقه منذ البداية ، وفى قاعة المجلس كان يخطو مكارثى حزينا مرات ومرات .

وعندما كانت تحين الفرصة ليظهر على شاشة التليفزيون كان يوجه السب والاهانة لبول هوفمان وشيرمان آدمز ، وهارولد سباس مستخدما كلماته وتعبيراته السابقة ولكن فى ثوب آخر وصوت جديد .

وفى أوائل سنة ١٩٥٦ طلب مكارثى من ل . برنث بوزل وهو احد مؤيديه ان يكتب له بعض الخطب عن السياسة الخارجية والعسكرية وكان بعض تلك الخطب مقبولا فاحدث تأثيرا مناسبا فى فترة صادقت فيها أمريكا روح الفشل فى اطلاق الصواريخ الموجهة .

وفى احدى خطبه طلب مكارثى اعتماد مبلغ ٩٦٠ مليون دولار للقوات الجوية زيادة على المبالغ المقررة لها فى الميزانية ولكن كل افعاله واقواله كانت بلا نتيجة حتى انه شعر بمضى الوقت بأن كلامه أضحى سخيفا وأن أحدا لا يستمع اليه .

وجاءت انتخابات سنة ١٩٥٦ ولم يكن لمكارثى اى دور فيها ، بل انه لم يحضر الاجتماع الذى عقده حزبه فى سان فرانسيسكو ، وكان مكارثى قد اعلن بعد قرار ادانته انه يعتذر للشعب الامريكى عن تأييده لانتخابات ايزنهاور عام ١٩٥٢ على أساس انه اعتقد بأن ايزنهاور يعادى الشيوعيين .

لم يسمع احد هجوما على اية وزارة ، كما لم يسمع هجوما على ادلاى ستيفنسون ولم تتباه الحكومة والمسئولون فيها بعدد الشيوعيين الذين طردوا من اعمالهم ، واخذ نيكسون على عاتقه مهمة الدعاية لايزنهاور بدون الاستعانة بأى من أساليب واقوال مكارثى ، وقال فى دعايته ، « ان ايزنهاور ايها المواطنون رجل كبير ، وبرنامج ايزنهاور يؤدى الى رفع أمريكا وعزتها » . وعقب الانتخابات وعندما بدأ جون ماكميلان يشدد الخناق على دلف بيك زعيم جمعية عمال الاخوة الدولية حاول مكارثى التدخل فى القانون ، بأن يدعو الى التعديل الخامس فى قانون العمال .

ولكنه لم ينجح فى هذا السبيل اذ ان نجمه قد بدا يميل للافول . وفى تلك الاثناء اشتد المرض على مكارثى ودخل المستشفى أكثر من مرة ليعالج من امراض لم تعرف حقيقتها أو لعل الاطباء لم يشاءوا الاعلان عنها .

وعلى كل فان المرض الذى كان يشكو منه مكارثى كان يختلف تماما عن المرض الذى كان يعلنه الاطباء فقد كان متعودا الشكوى مرة من ظهره وثانية من كبده وثالثة من البروستاتا .

وكان يزيد وزنه مرة لدرجة كبيرة وكان مرة يفقده حتى يكاد يصبح هيكلا . وقد اشيع انه فقد ٤١ رطلا من وزنه في بضعة أسابيع وقد أيد الاطباء تلك الظاهرة ولم يعرف أحد زملائه المخلصين حقيقة مرضه .

وحدث ذات مرة أن كان يتناول غداءه لدى صديق له يدعى جورج سوكولسكى وفجأة أحس بأوجاع ، ويقول سوكولسكى نفسه انها كانت شديدة لدرجة كبيرة ولم يلبث أن انتقل للمستشفى حيث ظهر انه مصاب بالتهاب فى الحجاب الحاجز .

ولقد قيل عنه انه لم يفق من الخمر طوال السنة الاخيرة من عمره ولا اظن أن ذلك صحيح ذلك لان مكارثى كان مدمنا على الخمر ولكنه لم يفقد عقله قط . ولعل الصعوبة فى أنه بعد مرضه لم يعد يتحمل الشراب وكانت الكأس الثانية أو الثالثة كفيلة بالذهاب برشده وصوابه واستمر مكارثى فى شرابه ، كما وجد مايشغل به نفسه فى الكونجرس كأى سيناتور آخر وكانت له حياته الاجتماعية الخاصة فقد تبنى هو وزوجته طفلة اسمها تيرنى اليزابيث وكانا لها بمنزلة أبوين عطوفين وعندما كان يشعر بتحسن فى صحته كان يخرج للصيد فى غابات ويستونسن أو يقضى وقته فى الزيارات .

ولقد اغرم مكارثى بجمع المال ، وكان ينفق بقدر مايجمع وترك السباق والبوكر واصبح من عشاق قراءة أخبار الاوراق الماليةوالاسواق وكأنما أراد أن يؤمن مستقبله بعد أن أصبح كبير السن وسياسيا قديما ودخل بعض مشروعات البترول واليورانيوم وأخذ يحسب مكسبه من أوراقه المالية كأنما وجد فيها مايشغل بها نفسه .

ويعتقد البعض أن من أسباب موت مكارثى سوء تقديره لبعض الصفقات المالية التى عقدها وعادت عليه بخسائر فادحة على حين يرى البعض الآخر مثل سوكدلسكى انه كان يشعر بأن ريتشارد نيكسون نائب ايزنهاور قد خانه وهو الذى وضع فيه ثقته طيلة عمره .

وفى ١٩٥٧/٤/٢٨ دخل مكارثى المستشفى البحرى الرئيسى بماريلاند وأعلنت زوجته انه يعالج من اصابة بركبته ولكنه وضع فى قسم الاعصاب واعلن اطباؤه انه مصاب بالتهاب فى أعصاب أطرافه وهو مرض ينتج عن كثرة الادمان على الشراب ، وظل مريضا بعد ذلك فى بيته لعدة أسابيع وأصبحت حالته خطيرة . ولم يمض على ذلك وقت طويل حتى وافته المنية فى صبيحة يوم ١٩٥٧/٥/٢ وزوجته جالسة الى جواره .

وقد أعلن أحد المعلقين على ميعاد وفاته بأنه قصد أن يكون مادة مثيرة فى اخبار الساعة السابعة وهو الوقت الذى كان يحبه ويفضله .

تعددت الآراء لدى الكتاب عن مكارثى وقالوا انه على الاقل كان مقتنعا بما يقوم به ولعل افضل ماقيل عنه « انه كان حيا بين خلال دموع سيدة أمريكية كان زوجها يحب مكارثى على الرغم من احتقاره للدورالذى يلعبه فقد عاد الزوج يوم ٢ / ٥ فوجد زوجته جالسة تبكى

بجوار الراديو فبادرت زوجها بقولها انها استمعت لجميع التعليقات التى اذيعت عن مكارثى الراحل وانها كلها خطأ فى خطأ — كلهم كانوا يكرهونه لاخلاصه وتفانيه الشديدين . كل واحد قال عنه على الاقل : لقد كان مخلصا مؤمنا بما يقوم به ، ولم يكن أحد يستطيع مهاجمته فى اثناء عظمته . ان خير شيء يمكن أن يقال عنه انه كان كريما مع اصدقائه وان بعضهم أحبوه رغما منهم » .

وبناء على طلب زوجته مسز جين اقيمت له جنازة فى غرفة الكونجرس الى جانب الجنازة التى أقيمت له فى كاتدرائية سانت ماثيور وكان طلب زوجته هذا اول طلب يقدم من هذا النوع منذ ١٧ عاما أى منذ وليام بوآره .

وقام الكسندر ويلى الذى سعى مكارثى لعزله عام ١٩٤٤ فتلا محضر الوفاة وسرد تاريخ حياة مكارثى . وشيعه اثنان آخران هما مايك مانسفيلد ووين مورس وكانا من الد أعدائه ولكنهما لم يحملاعليه بعد وفاته .

ولقد لفت جثة مكارثى بالعلم الامريكى وبعد الصلاة عليه وضع النعش فى طائرة حربية ورافقه صديقه الراحل هرمان ولكر واثنان من المراسلين الى ابلتون وعم الحزن المنطقة .

وفى السابع من مايو أقيمت مراسم الجنازة فى كنيسة سانت مارى الرومانية الكاثوليكية فى ابلتون ودفن بمقبرة الكنيسة التى تطل على نهر فوكس .

وعند ما مات مكارثى صاح المؤمنون به ان موته كان خيانة وجريمة وهذا ما يحدث عادة من جانب الانصار والمريدين ، فقال أحدهم ان الشيوعيين والديمقراطيين من أنصار ترومان ودين اتشيسون وعددا من المنظمات والوزارات الحكومية وغيرها وزمرة آدمز براونل — قد تحالفت مع قوى الظلام والدمار والخيانة لسحق هذا الوطنى ، وقد نجحت فى القضاء عليه . وقال الناشر ويليام لوب من مانشستر (نيوهامبشير) وهو من انصار مكارثى ان عصابة يتزعمها منافق فى البيت الابيض قد سحقت زمرة مكارثى وغيره .

وقالت صحيفة أخرى فى تكساس ان أذناب الكرملين هم الذين قضوا على مكارثى ببطء وذكر فولتون لويس ، وهو ليس من أنصار المكارثية ان قرار اللوم كان السبب المباشر فى موت مكارثى . وقال جورج سوكولسكى وهو من أنصار المكارثية . لقد تعقب مكارثى أولئك الذين لا يستطيعون النسيان أو المغفرة وذلك حتى الموت .

وهنالك ما يدعو الى الافتراض بأن الكارثة التى أصابت مكارثى فى النهاية تتعلق بالاحلام التى كانت تراوده عن تربية قطيع كبير من الماشية وتحقيق أرباح خيالية ولكن هذا كله أنهى المتعطش للمجد ، ويحتمل أن يكون زوال الاحلام هو الذى أدى الى الموت ، أو أن يكون السبب هو الخمر الذى أدى الى انقشاع الاحلام وهذا أفضى للموت .

وهنالك آراء وأسئلة محيرة حول هذا الامر اذا اردنا الخوض فيها فلماذا أصابته نكسة نتيجة أحداث سنة ١٩٥٤ ؟ ولماذا تداعى بسرعة ؟

وأمام انهياره هذا هل يستطيع أحد الا ان يصفه بانه من زعماء الغوغاء والمخادعين ؟!

ولقد استخدم مكارثي أحد المحامين وسعى الى الحصول على براءة لنفسه ولم يكن يريد النزول عن شيء من كرامته في سبيلها . والسؤال هو لماذا كان يريد ذلك ؟

كان مكارثي يمتثل للرأي الرسمي المحترم . وكان يشترك في الرأي القائل انه ليس له مستقبل باهر ، وكانت المشاركة في هذا الرأي قاتلة وربما اعتبر اللوم الذى وجه اليه تحررا له وخلاصا ، ولولا ذلك فربما أقدم على أشياء لا تعرف نتيجتها .

وبدلا من ذلك مات لانه لا يريد الرضوخ والاذعان ، وهذا في ذاته امر شاذ وغير مألوف . ولو بحثنا في صفحات التاريخ ما وجدنا زعيما يموت بمثل تلك الطريقة . وان اشخاصا كمكارثي من الزاهدين تكون أحلامهم في المجد والسلطة أعمق من أي شيء آخر . ولتحقيق هذه الاحلام يتخلون عن كل شيء ، ومن المستحيل ان نتصور موت هتلر بسبب أشياء تافهة كسماعه مثلا أنباء غير سارة من مساعده .

ومن الامور العادية انزعماء الغوغاء كالشعراء والعشاق . لايتأثرون بالرفض واللوم . وها نحن أولاء نرى ان جوان بيرو بعد طرده من بلاده والتجائه الى احدى الدول يواصل اشعال حماس أنصاره واثارة الاحداث في عدة دول .

ولقد كان مكارثي ذا مواهب خالقة كرجل من الغوغاء ولكنه كان يفتقر الى الشيء اللازم من مواهب الغوغاء وهو الاعتقاد بقدسية مهمته . وقد يقطع الفرد شوطا كبيرا في السياسة وخاصة الديمقراطية منها ــ دون اعتقاد او ايمان ــ ولكنه يحتاج في التغلب على العقبات الى قوة يستلهمها من قوة ايمانه بفكرة أو من الشعور بصواب طريقه . واذا لم تكن لديه معتقدات فلن يكون له شيء يستلهم منه الشجاعة أو القوة .

ان افتقاد العقائد والمبادىء جعل مكارثي له اهميته كانسان امام انصاره واعدائه . لقد كان من الافضل بالنسبة لنا انه سعى وراء الحق وليس وراء السلطة وطريق المجد ، ذلك لانه من السهل في هذه الحالة احباطه وهدمه .

واذا كان مكارثي يؤمن بشيء ما ، فقد فقد هــذا الايمان في وقت مبكر (أو انه حصل عليه في وقت متأخر جدا فلم يستطع الاستفادة منه) وقد جمع مكارثي السلطة كلها في نفسه وفي الفوضى التي كان يعلم قدرته على اثارتها .

لقد كان منافقا في وقت كان النفاق لا يثير الاعجــاب ــ وانه من الافضل بالنسبة للعالم أن يكون شخص يمثل قدرة مكارثي هذه لخصلة حقيرة بدلا من أن يكون متحمسا ولديه خصلة هدامة شريرة .

ولقد كانت الحكمة التي استخدمها مكارثي شريرة هدامة ولكنها لم تحرقه وانما أحرقت الكثيرين غيره .

الفصل السادس

نظرة إلى الماضي بعين الحاضر

يتركز خطأ مكارثي في عدم اقتناعه بأهمية الدور الذي كان يلعبه ولكن لنفترض جدلا انه كان يسعى للحصول على الشهرة والسلطة وانه تمكن بأعجوبة من النجاة من هزائم سنة ١٩٥٤ أو ان رغبته قد أوصلته الى أبعد من ذلك،أو بمعنى آخر لنفترض انه استطاع التأثير على الامريكيين تأثيرا خطيرا وأصبح قائدا للجماهير ٠٠ فماذا كان يمكن أن تصبح عليه أمريكا والامريكيون ؟؟

ـ الحقيقة ان مكارثي ظهر في وقت كانت فيـــه الظـروف مهيأة لاستقباله ٠ فمنذ موت روزفلت لم تجد أمريكا زعيما بدلا منه ، ولم يكن ترومان ولا أيزنهاور قادرين على زعامة الشعب والجماهير بالرغـــم من توليهم منصب الرياسة في البلاد ٠

كان هناك تافت وادلاي ستيفنسون ، ولكنهما لم يتمكنا أيضا من قيادة الجماهير بالرغم من المزايا التي كانا يتمتعان بها ، وكان هنـــالك بالاضافة اليهما دوجلاس ماك آرثر وجورج كاتلت مارشال الذي خطمه مكارثي ٠

ولعل مكارثي كان سيصبح في وقت ما رئيسا للولايات المتحـــدة الامريكية لولا بعض الضعف الذي كان يعانيه ٠ واذا ما حدث ذلك فانه مما لا شك فيه ان أمريكا كانت ستتغير تغيرا كليا في سياستها الداخلية والخارجية على الســـواء ولكن الامة التي أدانت مكارثي لم تكن لتتركه يتولى منصب الرياسة بأية حال ٠

واذا أردنا أن نتصور مكارثي في البيت الابيض فعلى المرء أن يتخيل حدوث تغير في الطابع والادارة والذوق الوطني ٠ ان الامة التي اختـارت أيسر السبل سنة ١٩٥٢ و سنه ١٩٥٦ لن تقبل مكارثي رئيسا للجمهورية ويمكنها أن تختاره عضوا في مجلس الشيوخ أو مهيجا داخل هذا المجلس أو خارجه ومع ذلك فلقد كان في استطاعة مكارثي اذا اسـتمرت الاحوال على ما كانت عليه يوم ازدهاره ان يصبح الحاكم الفعلي للبلاد بدلا من كونه الحاكم غير المباشر لها ٠

وهناك صعوبة في الحكم على امكانية ظهور قواد وطنيين من الغوغاء نتيجة لعدم وجود خبرات سابقة في هذا الموضوع وظهور قائد من هـذه الشاكلة في بلد يتمتع أهله بالحرية٠لقد كان هناك قدر كبير من السوقية

في سياستنا وذلك لوجود ما وصفه هـ.ل فيكن بمثيري المخاوف والتعصب الشعبي عند كل سياسي ديمقراطي ، ولو نظرنا الى هذا من الناحيـــة التاريخيه لوجدنا ان قله قد نجحت في ذلك – أي في أن تدوس مجلس الشيوخ تحت أقدامها أو سحق الجنرالات والقادة .

ففي القرن التاسع عشر ، ظهر عدد من الغوغاء ، وأما في القـــرن العشرين وبالرغم من سنوح الفرص ووجود الميادين للمناقشـــة كان هنالك – باستثناء مكارثي – قلة حظيت بنجاح ضئيل يمكن الاشـارة اليه في المستقبل .

وليس هذا يعني ان أمريكا لم تشهد محاولات أخرى كمحـــاولات مكارثي .. ففي كتاب «قادة السوقه والغوغاء الامريكية – القرن العشرين» للكاتب رينهازد . هـ . لوثر المتخصص في هذه الشئون يحكي الكاتب عن تسعة رجال ورجل وزوجته يدعيان جيمس وميريام فرجاسون ظهرا في تكساس منذ اربعين عاما . وهؤلاء الرجال التسعة على التوالي : جيمس م . كيرلي من ماساتشوستس يتودوبلبيون والمسيسبي ووليـــام هال توفنسون من الينوى ووأيام هـ . هراري من أوكلاهوما وفرانك هوج من نيوجـرس وفرجاسون وزوجتـــه وايوجين تاليدج من جورجيا وفيتور ماركانتونيو من نيويورك وهيوى لونج وأخيرا مكارثي .

ولم يشتهر من كل هؤلاء سوى مكارثي ولونج . والشيء المؤسف له حقا ان ظهور مكارثي كان في وقت وصلت فيه أمريكا الى مركز حســاس بالنسبة للعالم .

.. كان ظهور مكارثي تنبيها الى احتمال قيام زعيم للغوغاء في امريكا. ومن الواضح انه لو كان مكارثي غير ما كان عليه لكان قد استمر بعدعام ١٩٥٤ ولفشلت الجهود التي بذلت لادانته وعزله .

وكأي شخص آخر كره مكارثي والمكارثية كنت متأثرا ومقدرا للقوة التي يمثلها مكارثي وقوة معارضيه على حد سواء وان كنت قد اختلفت مع البعض في آرائهم عنه . يقول كارل و. ماير الذي كتب الكثير عن مكارثي: « .انها رحلة بغيضة أن يعود المرء للمـــاضي القـريب ليبحث في الاوراق والصـــفحات الاولى من الجرائد عن هـــذا الوقت الذي كانت المنشئات والمنظمات والهيئات الاجتماعية تتساقط فيه أمام هجمــات رجل لا يؤمن بشيء على وجه التحديد ، ولست أرى هذا الرأي في الحقيقة – ان الهيئات الاجتماعية لم تتساقط أمام هجمات مكارثي بل تأثرت كثيرا بها وما زالت آثارها باقية فيها كفجوات الرصاص في قلعة حصينة ولم أســمع قط عن تنظيم تمزق أو انتهى بسبب ضربات مكارثي ، ولست أرى كذلك الرأي القائل بأن مكارثي كان مسلحا بخجل ضحاياه ، فلقد كانت له أسلحته التي خلقها أو زورها أو التي استعار بعضها الآخر ليضرب بكل قوته .

كان بعض ضحاياه يخجلون ولكن البعض الآخر لم يخجل وبعضهم كان شجاعا جريئا واستطاع مكارثي بعد وقت أن يختار لنفسه ضـحايا يتسمون بالجبن ، أما حقيقة الشخص أو التنظيم فلم تكن تهمة في قليل أو كثير فقد كان اختياره للضحايا غير مقيد أو محدود ، ولم يكن لهؤلاء

نفوذ خارج جيود ولايته وكان بعضهم أمثال توميسون وهاج ـ وهما محافظان ـ ومارکانتونيو ـ من رجال الكونجرس يتمتعون بنفوذ ضمن أهل بلدهم ٠

ولم يكن لماركانتونيو اية شهرة خارج منطقة هارلم وشرقهــا فى منهاتن ويجدر بنا أن نتساءل : هل هؤلاء أهل كغوغاء للحصول منهم على اعتراف لقد كان بعضهم من الاوغاد ، وكان البعض من ذوى السيرة الممجوجة العابثين ، وعلى أية حال فان مكارثى ولونج هما اللذان حصلا على نصيب من الشهرة ٠

واذا كان يحق لى الاعتقاد باننا محظوظون فليس ثمة تأكيد بأن هذا الحظ سيبقى ٠ فهنالك طرق عدة تجعلنا نعترف بأن مكارثى أول غوغائى وطنى ، وهنالك سبب يجب ألا نتجاهله وهو انه ظهر فى وقت كنا فيه دولة أكثر من أى وقت مضى من الناحية السياسية على الاقل ٠

ومنذ ثلاثين سنة مضت كانت سياسة الحكومة الفيدرالية المحلية تفرض على حياة معظم الامريكيين٠وأما بالنسبة للسياسة الخارجية عندما كانت لنا سياسة خارجية فلم يكن يهتم بها أحد سوى الاقلية ٠ وكان من الممكن أن يستغل الساسة الامانى والمخــاوف ، ولكن لا يعمد الى ذلك الساسة الذين يتعاملون بالقضايا الوطنية والدولية ٠

وقد انعكست الآية الآن ٠ فمن العســير الآن أن نهتم بمن هو المحافظ أو العمدة أو ما هى سياسة كل منهما ٠ وتقوم الدوائر الحكومية الاهلية الاتحادية بالاهتمام بالخدمات اللازمة والعامة ولكنها لم تكن تستطيع الاستقلال بسياستها كما كانت قبلا ، وبات من المحتمل أن تؤثر الحكومة الفيــدرالية على هذه السياسة لانها تساند الولايات بمعونتهـا وبذلك تمارس نفوذا على هذه الولايات ٠ وما يهتم به المواطن هو التعليم والضرائب والسياسة الزراعية والعمل والاسعاف وغيرها ، وأما السياسة العسكرية والخارجية فهى ذات أهمية أكبر ٠ وكانت لهذه السياسة أهمية كبيرة بحيث كانت الواقعة الرئيسية التى هربت منها المـكارثية ، وأين يجد المرء التعصب يتخذ طابعا سياسيا فى أيامنا الحالية وليس التعصب هو ازاء النقد والعمل أو أى شىء محلى ولكن ازاء السياسة الخارجية ٠

ولم يكن خجل جورج كاتلت مارشال بطبيعة الحال هو الذى حدا بمكارثى لاتهامه بل كانت جراءة رجل يدعى جوزيف رياموند مكارثى وكان هناك أشخاص لا يستطيع مكارثى أن يتجاهلهم فكان لابد له من مهاجمة الرئيس الامريكى ووزير الخارجية والحكومة بأكملها ٠

ولا شك انه اســتطاع الاضرار ببعض الهيئات الحكومية اضرارا بالغا وأصاب بعضها الآخر ولكن لم يؤذها كلها ٠ وقد أمكن فى بعض الاحيان تصحيح الاوضاع التى قلبها مكارثى فى هذه الجهات الحكومية كما أمكن انتشال الدبلوماســية الامريكية التى أطاح بهــا مكارثى من وهدتها ٠

ومن القواعد المعروفة انه لا يمكن فعــل شىء فى وقت من الاوقات بعد فوات الفرصة أو ضياعها أو سوء استخدامها ، ولقد أمكن للمـــرة

الثانية مناقشة السياسة الامريكية على ضوء المصلحة الوطنية وليس على ضوء موقف المكارثية • وليس معنى هذا انه يمكننا أن نقول بأن السياسة تصاغ بغض النظر عن الامور غير المألوفة

ولم يحدث أن سنحت مثل هذه الفرصة – واذا حدث – وظهر اليوم ان هناك فائدة أكثر من الخسارة فى الاعتراف بحكومة المانيا الشرقية فان الفرص – لاسباب محليه – لا تمكننا من الحصول على هذه الفائدة • وهذا أمر يرثى له ولكنه ليس قصة تستحق اطالة النظر • ولا يوجد تشابه بين الموقف اليوم وما كان عليه منذ خمس سنوات عندما كان الحديث المنطقى غير ممكن بالنسبة لكثير من الناس الذين يعملون فى الدبلوماسية الامريكية •

وقد ظهرت عقبات فى بلادنا وفى غيرها – أمام السياسة البعيدة عن الحكمة أو الجهل ، ولقد لاحظت انه عندما كان مكارثى بارزا فان منافسيه كانوا يغلقون عليه السبل – واذا رغب – أحد خبراء وزارة الخارجية فى شئون المانيا أو الصين أن يناقش اليوم قضية الاعتراف بهاتين الدولتين الشيوعيتين أمام لجنة من لجان الكونجرس فانه يستطيع ذلك دون أن يخشى كثيرا على منصبه وعمله •

واذا كانت القوة المعنوية للخدمة الدبلوماسية قد استعيدت ، لا من أجل الخدمة العلمية فاننا لا نزال نحتاج لحسن النية من جانب الافراد اذ لا تزال لجنة التحقيقات فى الكونجرس متأثرة بنفوذ مكارثى • وقد أصبح من المعتاد لدى اللجان أن تحقق وليس الهدف الحصول على معلومات مفيدة وانما لتشويه سمعة الاشخاص أمام الرأى العام – وهذا أثر من آثار مكارثى على الكونجرس •

لقد ابتدع مكارثى نظام الاستجواب وسؤال الشهود على حسب التعديل الخامس للقانون،ومنذ زوال عهده حاول بعض رجالات الكونجرس استخدام هذا التعديل ، والواقع انى أريد أن أبين بأن ما لدينا انما هو خليط من الاشياء وان الامور تختلف من أحد جوانب الحكومة والسياسة الى الجانب الآخر ، وأنا على يقين بأن المرء يستطيع دون عناء ان يثبت حدوث هبوط فى حدة المناقشات السياسية نتيجة تجربتنا مع المكارثية

ويبدو لى انه من الضرورى أن نأسف لكل ما يدعو الى الاسف ومع ذلك فانى أعتقد أن احدى الهيئات الحكومية قد كسبت قوة فى عهد مكارثى ، فقد تدعم مركز المحكمه العليا الامريكية لانها تتمتع بحماية الدستور وقوة التقاليد وقوة أعضائها ، لذلك اتخذت المحكمة سلسلة قرارات زادت من قوة بناء الحرية عما كانت قبل •

ان الذين نالوا تعليمهم منا فى القرن العشرين يفكرون على حسب قواعد علم الاجتماع سواء كنا نحيط بهذا العلم أو لا • فاذا لاحظنا ظاهرة كالمكارثية فينبغى أن نطرد من أذهاننا فكرة ان انسانا ما يستطيع أن يفعل الكثير فى هذه الناحية وان كانت هذه الظاهرة تحمل اسمه • ومن الواضح ان المكارثية كانت نتيجة عوامل مختلفة وليست من صنع مخلوق واحد • قال جوزيف وستيوارت السوب : « لقد كانت المكارثية من مخلفات الحرب

الباردة » وقال تالكوت بارسنز (من علماء الاجتماع) : « انهـا حركة انتقامية من بعض العناصر التى قضت نحوعشرين عاما فى ظل الاستبداد» وقال بيتر فيريك « ان المكارثية انتقام الجمـاهير التى خضعت سنوات لخيال الاحزاب ــ ورأى البعض انها ثورة على العزلة التى سادت فى فترة الثلاثينيات » ورأى صمويل لوبل « أنها محاولة لمعاقبة من يعتقد الكثيرون فيهم انهم مسـئولون عن بعض الاخطاء التى ترجع لاشتراكنا فى الحرب العالمية الاولى » .

ولا أشـك لحظة فى قيمة هذه التفسيرات التى أشرت اليهـا فى المقتطفات التى اخـذتها منها . ان الزعيم الغوغائى يستغل الخطأ والظلم حيثما وجده وما يثيرنى هنا هو انهم جردوا مكارثى من صورته الحقيقية. فان جميع التفسيرات قالت انه أداة ، صوت ، أو رمز أو وباء سرى بيننا، وربما كان كذلك . ولكن لماذا انتظر طويلا كى يرفع رأسه ؟ ولماذا اندثر أو اضمحل نفوذه عندما استسلم لليأس ؟

لقد كانت المظالم والسخط موجودة قبل ظهوره ، وأعتقد ان معظم هـذه الاشياء لا تزال باقية حتى اليوم . وقد حاول من سبقه اسـتغلال العوامل التى استغلها ونجح بعضهم ، ويحاول البعض استغلالها اليوم ويرى المرء فى ذلك علائم المكارثية الثائرة . وقد يكون غريبا اننا لم نر أحدا من هؤلاء ، ومن المؤكد أن أنصار المكارثية قد تلاشوا فى عام١٩٥٤

ويمكننا القول ان السنوات التىعاشها مكارثى كانت فترةدراماتيكية فى حركة تاريخية مستمرة واسعة النطاق ، وقد تحدث بنيامين جنزبورج فى كتاب عن الحرية ــ عن القضية وناقشها ــ فقد كان مشتركا فىاللجنة الفرعية للحقوق الدستورية التابعة للجنه القضائية ومجلس الشيوخ . تحدث جنزبورج عن التغييرات التى حدثت منذ سنة ١٩٥٤ فقال : « ان هذه الاشياء تمثل انطواء المرحله المكارثية المعادية لحركة الادارة الحالية . ويسرد جنز بورج قضايا عدة عن امتهانالحقوق المدنية فى السنينالماضية وكذلك عن مطاردة الموظفين والمواطنين بسبب آرائهم الخاصة وعن بقاء أشياء تافهة من اجراءاتنا الخاصة بالامن . ويقول : « ان الخطأ فينا ولا علاقة له بحظوظنا ونجومنا . ولا يوجد انسـان عاقل يتهم مكارثى بأنه الذى أوجد المذهب المضاد للارادة الانسانية . لقد كان الخطأ يكمن فى أنفسنا واستطاع مكارثى أن يظهره للعيان ، وقال نيتشه ردا على سؤال من هذا القبيل « هنا بطل هز الشجرة عندما كانت الثمار ناضجة . فهل تعتقد ان هذا أمر سهل ؟ أنظر الى الشجرة التى هزها ! انها شجرةهائلة تحتـاج لعملاق كى يهزها . وهذا ما مثله مكارثى . وقد سقطت الثمار ولكنها أصيبت بعطب وسقطت حكومة ترومان من ثقلها سنة ١٩٥٠ .

وقد تولت حكومة أيزنهـاور السلطه وهى تؤمن انه من الواجب الدستورى للحكومة أن تستجيب لارادة الشعب بدون معارضة الجهـاز التشريعى . وقد أثار مكارثى الرعب فى الكونجرس وبين الموظفين الذين لم يجدوا حماية من البيت الابيض .

وقد هز الكونجرس الشجرة كلها ، وليس الاجهزة السياسية . وقد ثبت ضعف الاطياف غير السياسية .

BIBLIOTHECA ALEXANDRINA

غير ان بعض المنظمات ومنها بعض المنظمات الدينية كانت تعارض مكارثي بشدة ، وبالرغم من تسلل مكارثي بين الطبقة العاملة فان منظمات العمال كانت تنتقده بشدة وتحمل عليه كثيرا . وكانت بعض الصحف تعاديه ومنها النيويورك تايمز والنيويورك هيرالد تريبيون والواشنطن بوست وصحف كاولز ونايت ومنشورات لوس وكان يعاديه أيضا عدد كبير من كبار رجال الصحافة في انحاء الولايات المتحدة ومن أمثلتهم ، والترليبمان وجوزيف وستيوارت السوب ، ودوريس فيلسون وماركيز تشيلدز ودرو بيرسون وتوماس ل . ستوكس، وأما في الاذاعة والتليفزيون فكان من نقاده ادوارد ر . مورد والمر ديفيزوكونسي هو ومارتن اجرنسكي وادوارد مدرجان

وقد تكهن ترومان توماس أحد أبطال الحرية والادب باقتراب نهاية مكارثي والمكارثية — هذه النهاية التي تعتبر نصرا للعقل والذوق . واشتد النزاع والصراع بين الكارثية وأعدائها . وقد أصيب مكارثي بانهيار داخلي ذلك لانه شعر بعدم جدوى نشاطه فقد كان مكارثي ضحية مجهولة للحقيقة أو أسطورة انقاذ للرأي العام .

ومن الممكن أن يكون مكارثي قد صدق جون ماكليلان عند ما قال هذا انه لا يخشى المكارثية ، وربما كان الاستياء من المكارثية مرضا معديا، ويحتمل أن يكون مكارثي قد أصبح في النهاية وباء خطيرا نال منه التعب النظر الى هذه المنازعات ، لا أنظر الى انهيار مكارثي باعتبار ان السبب هو عدم قدرته على تصديق ما كان يتفوه به .

ان المنافق قد يدرك عاجلا أكثر من أي شخص آخر — متى سيكشف عنه الستار وربما شعر مكارثي بذلك دون أي جدال ، انه على الرغم من وجود معجزات ممكنة الوقوع ، فان الجهد الذي لزم الحصول على ذلك قد استدعى دم الحياة الذي ما كان أحد من المنافقين يضحي به .

ومع ذلك فاننا نعتقد ان مكارثي قد هز الشجرة بعنف ، ولكنها لم تسقط بل سقط هو كذلك فاننا لا ننسى أن ٥٠٪ من الناس كانوا يميلون اليه على حين أن ٢١٪ منهم امتنعوا عن ابداء رأيهم فيه بصراحة أما من عارضوه فكانوا نحو ٢٩٪ من الرأي العام وذلك في الاستفتاء الذي أجرته بعد وفاته احدى الصحف الامريكية الواسعة الانتشار .

والواقع لقد كان مكارثي أكذوبة كبيرة ، ولد ليموت ، وكان بزوغ نجمه في السماء الامريكية وأفوله بالسرعة المذهلة التي تدعو للدهشة .

تم الكتاب

٨٩٨٨٨٧

مطابع الدار القومية

١٥٧ شارع عبيد - روض الفرج

تليفون ٤٠٧٥٣ - ٤١٠١٢
٤٠٥٨٨ - ٤٢٨٢٤

العدد ٤٤ الثمن ١١ قرش